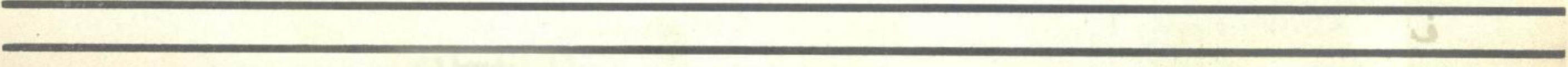
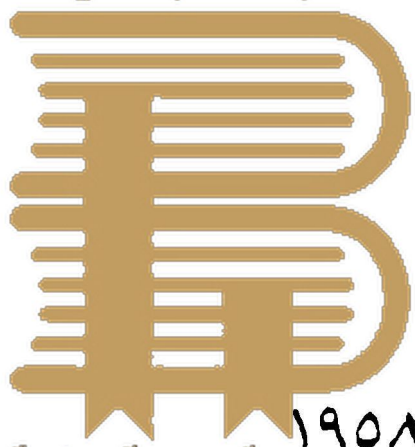


الثقافة

مجلة فكرية تصدر في دمشق





التفافة

أدبية فكرية جامعة تصدر شهرياً في دمشق تأسست عام ١٩٥٨

shiabooks.net
mktba.net

مؤسسها ورئيس تحريرها
مدرسة جفكاشي

FONDATEUR

ET REDACTEUR EN CHEF

Madhat Akkache

P.H 22998±

هـ ٢٢٩٩٨٤

B.O.P. 2570

ص.ب. / ١٢٥٧

DAMAS

دمشق

المستشارون

الأساتذة:

عبدالمعين الماتوي

سعد صائب

عبدالغني العطري

عبدالكريم ناصيف

جمال حسن

نعمان حرب

محمد زهير الباشا

سهر رومي الفيصل

التحرير

فضل عفاش مصطفى البجار

محتويات العدد

٣	د . ياسر شرف	كتاب حركة المسرح في حمص
٦	زكي قنعل	اسطورة الذهب
٩	سعد صائب	محتتنا في الفن التجريدي
١٢	محمد الفيتوري	أنا زنجي شعر
١٣	ترجمة عبد اللطيف جبور	الحديث الصحفي الاخير لأرسكين كولدويل
١٥	مخمد المنصور الشقحاء	يوم آخر للحزن - قصة قصيرة -
١٦	صادق عبد الرحيم	الريح والذكرى - قصة قصيرة -
١٩	سمر روجي الفيصل	عالم الشقحاء القصصي
٢٣	اعتدال رافع	شائعة - قصة
٢٥	ملف خاص بتكريم الاديب سعد صائب
٢٨	كلمة مدير المركز الثقافي العربي بدير الزور	
٢٩	كلمة الاستاذ فاضل سفان	
٣٢	كلمة انور الجندي	
٣٣	كلمة عبد المعين الملوحي	
٣٧	كلمة حسين حموي	
	كلمة امين الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية	
٤١	اسعد احمد علي	
٤٢	كلمة مهدي عبد القادر	
٤٣	كلمة حواد المرابط	
٤٥	شعر : عبد المجيد التحار	
٤٧	كلمة جمال عبود	
٥٠	كلمة د . ابراهيم الكيلاني	
٥١	كلمة د . بديع حقي	
٥٣	شعر : محمد عبد الحدو	
٥٤	كلمة : سعد صائب	

كتاب حركة المسرح في مصر

د. ياسر شرف

جوانب عديدة ، ووثقوا نصوصه ، وأكدوا تاريخه ، ووضعوا تسلسل تطوره ، وغير هذا وذاك مما تقتضيه طبيعة الدراسة . وهذا ما يجعل مؤلفنا الاخ الاديب هيثم يحيى الخواجه ، يسير في حقل الغام ينطوي كل منها على تساؤل ملح ، أو استفسار عميق ، وقد يحمل مشكلة هامة يمكن أن تفجر عددا من الاستفهامات العريضة وتشير قضايا شائكة وشائقة ، جديرة بالبحث والتنقيب والتفـسـاـول والتصدي .

وقد شكل ذلك أحد الجوانب الهامة في الحديث عن المسرح وحركته في احدى مدن القطر العربي السوري ، التي ما فتئت تقذف بفلذات كبدها الى الساحة الادبية مبدعين وأدباء ونقادا ومسرحيين وشعراء تتلقفهم الاتجاهات المختلفة ويتناولون عديدا من وجوه التعامل مع المشاهد

التأليف في تواريخ الادب واحد من الاعمال العسيرة والخطيرة ، فأما أنه عسير فلأنه يتطلب عودة الى الورا ، لاصدار الاحكام وتقليب وجهات نظر ، أو احكام في نصوص غير متوافرة للباحث ، وفي ذلك ما فيه من جهد ومشقة ، وأما أنه خطير ، فلأن احكامه أكثر تعرضا للنسبية والانتقاد وربما الابطال أكثر من غيرها ، بسبب طبيعة البحث وما بنيت عليه مما أشرنا ، اذ قد يكون ذلك بناء لنتائج تراتبية في المكانة الادبية او النسبة او الاطراد ، وغير ذلك مما يندرج في اطار التفضيل أو السمو .

وربما يكون المسرح في حمص ، تحديدا ينطوي على درجتين هامتين من العسر والخطورة ، نظرا لكونه من الحسوث البكر - نسبيا - لم تتوافر له مجموعة من الباحثين تناوبوا فيه فأنجسزوا

أو القارئ أو السامع ، بكلمة : الآخر ،
يواجهون فيه التحدي والتأييد ويسطرون
صفحات جديدة في تاريخ الأدب العربي في
هذا القطر ، في موضع القلب منه ، حمص
أم الحجار السود .

فلم يبخل المؤلف بالجهد ، ولا
بالتحليل ولا إطلاق الأحكام الشمولية -
أحيانا - ولا شك أنه بذلك في هذا المجال
وفيرا من التقصي والمتابعة ، واستند
إلى جانب من المرجعية الموثقة ، واستمع
إلى شهادات المختصين أو الذين عايشوا ،
ظروف المسرحيات التي تناولها أو
عرضها أو أشار إليها .

وإذا كان يصدق على تواريخ الآداب
أنها - في مجملها - تواريخ للإفكسار ،
فإن هذا الكتاب نموذج حي لهذه الطروحة ،
إذ أن الكتاب يتضمن جانبا غير قليل
من ذائع الاتجاهات السياسية والاقتصادية
والثقافية والاجتماعية ، التي شغلت
الناس في تلك العقود الزمنية ، التي
امتدت إليه يد المعالجة والدراسة
والتبويب ، فظهر من خلال السياق الأدبي
جانبا من كل ملمح أو أكثر ، أضفى على
هذا البحث أهمية إضافية ، عبر كل
إشارة إلى الأوضاع ، التي شغلت الناس ،
بمشاركة حوادث هامة أو وقائع معطاءة ،
تتخطى اللحظة العابرة لتقف واحدة من
الدلالات في مرحلة مصيرية من العمس
الجماعي الجماهيري لأبناء هذا الوطن ،
وخاصة في حمص موضوع الدراسة .

وأدى ذلك رسالة هامة أيضا ،
جديرة بالاعجاب ، حين أشار إلى تفاعل
هذه المدينة بالأوضاع الإدارية السلطوية
والمدى الذي بلغته الجمعيات والنوادي ،

والفرق ، والاتجاهات التي استأثرت
باهتمامات الأشخاص وإمكاناتهم ، وجملة
ملاذ به عدد من الأدباء وأصحاب المسارح
والمخرجين والممثلين ، من وسائل
تعبيرية لنقل تصورات الجماعة - سياسيا
واقصديا واجتماعيا - وزمرة من
التطورات التي تعد بمثابة إرهاصات
لأحداث تلاحقت في المدينة أو المنطقة أو
القطر .

فلا أحد يستطيع إن ينكر ما لمذهبية
هذه الدراسة من فوائد إيجابية ، تتمثل
أول ما تتمثل في التزامها حركة الشعب
في صنع الحدث ، ومصانعة الجمهور في
مواقفه إزاء الإجراءات الرسمية ، ومفاصل
التقارب أو المعاندة ، التي كانت بين
القبول والرفض ، وما يدخل فني هذه
المواجهات الاحتمالية من أمور تتسم
بقابليتها للتصنيف لمصلحة الشعب ، أو
ضدها ، بحسب عدد من المعايير القابلة
للتحديد .

وما من شك في أن هذا الموقف
المتمثل في الانحياز إلى الجمهور ،
قد أدى وظيفة أخرى جليلة ، بدت من خلال
اتسام المسرح - كفن أدبي - بالاعتماد
على الجمهور ، وقد أدى هذا الازدواج إلى
نتيجة مترعة بالتفاوت ، مفادها أن
المسرح قد أدى رسالة اجتماعية هادفة ،
ولعب دورا سياسيا تقديما ، وأشار إلى
اتجاهات ثقافية علمانية ، وكان واحدة
من المنارات الفكرية الكثيرة التي
استضاء بها الجمهور ، وألقت ضوءا
مفيدا على زمرة من قضايا الساعة ،
كما كشفت غلالات مختلفة الشفوف عن قضايا
ومشكلات تتصف بأنها ملحة أو أساسية

في التوجهات العامة او المواقف الخاصة ،
ازاء ما يجري من أحداث ، وما تمر به
البلاد من تطورات .

وجاءت الافادات الشخصية والشواهد
المنتزعة من كتب المذكرات وتواريخ
الادب ، في هذا البحث ، لتؤكد الجانب
المضيء من عمل المؤلف ، الذي تجلى في
سلاسة العرض وعمق التحليل وصدق النبوءة ،
وانكشفت معالم خريطة التطور في اوضاع
المسرح الحمصي ، وتآزرت النقاط الاشارية
الهامة ، فانعقدت الصلات ، وأقيمت
الاسباب الترابطية ، وظهر المدى الذي
بلغته تجربة مسرحية رائدة ، في احدى
محافظات قطرنا العربي السوري .

وربما كان مما حرض عليه المؤلف
قيام الباحثين المختصين بتناول التراث

الادبي لابناء هذه المحافظة ، في اطار
أجناس أدبية أخرى ، كالشعر ، والمقالة ،
والقصة .. وغيرها ، مما يؤدي السى
الاسهام المباشر في جمع معلومات وفيرة
ودقيقة عن الاوضاع الادبية ، والاضافات
الاصيلة ، والمساهمات المفيدة ، ويكشف
عن الجدة والجودة في سياق الانتساج
الادبي العام ، باعتبارهما تيارا رافدا
لمجمل الادب النتاج في وطننا الصغير
ثم الكبير .

يكفي المؤلف فخرا انه سار على
الدرب ، وعلى القادرين ان يكملوا
الشوط بالمتابعة ، فله أسى الشناء ،
وعلىنا واجب الاستمرار .

د . ياسر شيرف

أسطورة الذهب

زكي قنصل

اسطورة الذهب
في عشاء وداعي اقامته الجالية على شرفه
يوم عاد الى الوطن سنة ١٩٦٨

وهللت ارضه فاسرح ولا تهـسب
بل انت في مهرجان الشعر والادب
لعصبة ملء تاريخ العلى نجسب
هم وقلبنا شوق على لهـسب
ثم افترشنا بساط الرمل والعشب
ان اغترابك عنه منتهى العجب
مافي البرية من جاه ومن نشب
ترويه بالدمع او تطويه بالـدآب
يقضان من وجل ، سهران من نصب
اني يعز شريد ضائع النسب ؟
ولا بموطنسه موصولة السبب
فضاع معناه بين البعد والقرب

هلت سماء الحمى ، فاسبح مع الشهب
لا لست في حلم تخشى عواقبه
في عصبة نجب يرقى بهم نسب
يا قلب كم هزنا وجد وارقنا
كم اصطنعنا من الاحلام أجنحة
مافي رجوعك للفردوس من عجب
فراق اهلك جرح ليس يلائمه
هل ضمك الليل الا شاكيا وصبيا
ويح المهاجر يسعى في مناكبها
اذا انتمى القوم الوى وجهه خجلا
لا رجله في بلاد الناس راسية
توزعت نفسه ما بين ذاك و ذا

كأنه كرة يلهو الصغار بها
تلك الاساطير من شهد و من لبن
يشارك القوم في اعيادهم فرحاً
لا تنخدع ببريق في محاسره
هذا الهزيج الذي ينساب في فمه
دنياه قاتمة الافساق عابسة
لا يذكر الدار الا غاب في حلم
ايام يرتع في امن وعافية
خلق اللباس عزيزاً في خاصته
يغفو قريراً على الاشواك تلدغه
ويشرب الماء رنقا لا يغص بسه
لا يشرب الى ما عز من طلب
اذا تعى عليه حل مشكلة
وان تصارعت الاهواء واضربت
ما دام يملك ما يكفي للقمته
تهيج زقزقة الحسون نشووه
دين الحضارة في عينيه شعوذة
يا ذكريات الصبا رفقا بمنهدم
ما كان أخسر في الدارين صفقته
اغرته خلف مرامي الافق جلجلة
قالت له الكتب ان لاخير في بلد
وما تعلم الا بعد هجرتسه
جنى عليه واشقى اهله طمع
لم تبق منه بلاد المعجزات سوى
اعطته حفنة صلصال فجاد لها
وزانها بالنجوم الزهر ينجبهم
يا مسقط الرأس اضناني هواك فهل
صخب المدينة كابوس اهيق بسه

او آية الحمد في سفر من الريب
تحولت علقما في عيشة الخشب
والله ادري بما يخفيه من كسرب
ما في السراب غنى للظامىء السغب
نار موجهة في صدره التعسب
وفجره مائج الامساق بالكذب
زاهي الحواشي والا اهتز من طرب
خالي السريرة من هم ومن رعسب
من قال ان العلى في الملبس القشب
كأنهن رموش الزنبق الرطسب
كأنه يستقي من سلسل عسب
ولا يزاحم مغرورا على لقبسب
جديسة حلها بالهزل واللعب
رنا اليها بطرف غير مضطرب
فيا داع لهذا الشر والشغب ؟
وتستشير هواه انه القصب
ومجدها حبيب طاف على حبسب
وياخيال الحمى لطفاً بمغترب
لما لوى وجهه عن كوخه الخسرب
وزلزلت عقله اسطورة الذهب
محل ، فهام وراء المرتع الخصب
ان السعادة شيء ليس في الكتب
يا ليت ياليت لم يذهب ولم يوب
ما تترك النار في كوخ من الخشب
بالغاليين شباب الروح والعصب
للسيف والضيف ، او للطم و الادب
يشفي هواك ما في الصدر من وصب
من ينقذ البلبيل الشادي من الصخب

حملت رسمك في عيني وفي خلدي
اهوى ترابك ، لكن ليس لي امل
اثنان في آخر الدنيا تركتهما
طفل ينضر دربي بابتسامته
لولاهما ما بكى قلبي ولا التفتت
اغفو فيملاً احلامي خيالهما

ولدت باسمك في صفوي وفي غضبي
ان استريح غدا في صدرك الرحب
يحببان الى عيني مغتربي
وحلوة ينتهي في ظلها تعبتي
عيني الى البحر اوطافت على السحب
واستفيق فيستلقي على هدبي

عاد الغريب ولكن بعد ان خبطت
تلك الغصون الزواهي في خمائله
يا رب سدّد خطاه في رسالته
اعطى العروبة قلبا صادقا ويّدا

سفينة العمر في داج من النوب
لم يبق منها سوى شيء من الحطب
من دق بابك لم يحزن ولم يخسب
فاجعل نهايته في خدمة العرب

زكي قنصل

مخنتنا في الفن «التجريدي»

بقلم سعد صائب

دري أنه سيظل احساساً زائفاً... ومن عجب كذلك أنه تمادى في التعبير عنه ، دون أن يضع في حسابه الظروف المساوية التي نمر بها ، وما علم أن هذا التعبير سيكسب منه مظهراً زائفاً مهما برع فيه ! والظاهرة الثانية : « أن تعقد كياننا الاجتماعي ، ومصالحنا الأكثر تنوعاً تجيز لنا ادراك ألوان من الجمال ممتنعة على حواس وادراك شعب يعيش في ظل ثقافة أضيق أفقاً » وبديهي أن هذا الفن لا يوائمكم ، ولا سيما أنه يتطلب « ملكة » من التفكير خارج الوجود المتعين « كما يستلزم استعداداً وقدرةً تعتبران من أهم جوانب الفكر الإنساني ، ناهيك عن أنه أمسى جزءاً من تقاليدنا الثقافية والفنية التي تختلف عن تقاليدكم ، وأنه وبالتالي يتأبى على من لم يكن ذا عقل حضاري ناضج كعقلنا ، وورقي ثقافي واجتماعي رائع كرقينا . . . وعهدنا بكم أنكم ما برحتم في طور « النمو » وما فتتم تعيشون في ظل ثقافة أضيق أفقاً من ثقافتنا ! . . .

ويقول آخر : لئن توهم « فنانكم » أننا انما اصطفينا هذا الضرب من الفن على « الكلاسيكية » وسواها من ضروب الفن

كلما أنبأت نقاد الفن الغربيين - ابان رحلتي الى أوروبا - بأن لدينا نحن كذلك « فناً تجريدياً » يشاكل فنهم ، ويوشك أن « ييزه » بتهاويله ، تولاهم الدهش ، وأخذت منهم الحيرة مأخذها ، فمضو يهتفون بي ، وقد همو بالابتسام الذي يشف عن السخرية... وكأنهم بذلك يشيرون إلى عيوب « فنائنا » ويضعونه مواضع الريبة ، بعد أن شك عليهم منهجه ، فيقول قائل منهم :

ثمة ظاهرتان لا يخالجانا الشك في أن فنانكم قد جهلما ، احدهما: أن الفن التجريدي لا يعد و - بالنسبة إلينا - ارهاصاً من الارهاصات التي ولدتها تطبيقات العلم المادية ، نجم عنه ردة فعل لا تستهدف البتة المذاهب الفنية التقليدية التي استهلكت نفسها ، بقدر ما تستهدف خطر «التكنولوجية» الحديثة التي تستهلك اليوم انساننا ، ولم تؤدبه الى الغربة الضياع فحسب، بل كادت تخنقه بالخوف من المصير الذي يترصده ، لذا كان احساسنا بهذا الخطر الذي يتهدد حضارتنا شديداً ، بحيث اضطر فنائنا الى التعبير عنه بما يلائمه . . . ومن عجب أن يتبنى فنانكم هذا الاحساس دون أن يحياه بصدق كما نحياه نحن ، وما

ومذاهبه ، رفضاً لها وإعراضاً عنها ، وتجديفاً بها ، لقد أخطأ في وهمه ، لأن « الكلاسيكية » وأخواتها لا تني حيةً فينا ، وهي من مقومات تراثنا الفني ، الذي لا ننفك نعتر به ونفخر به . . . وما كان أخذنا بالفن التجريدي ، إلا إضافة قيم فنية جديدة الى تراثنا ، بعد أن أدركنا أن عصرنا قد تجاوزه . ولئن لم تعد مذاهبه الفنية توائم أذواقنا ومعتقداتنا ، فقد ظلت لمعاييرها قيمتها فينا ، بعد أن تملثناها في وجداننا ! . . .

ولا سيما أننا سرنا بالتجديد الفني بدءاً من البسيط إلى المركب وليس العكس ، كما نجم من تحكنا بطاقتنا الفنية لا من هدرها ! . . . ثم يردف قائلاً : هب أننا عرضنا يوماً عن مذهب التجديد هذا ، أوعدنا بالتالي الى مذاهبنا الفنية التي هجرناها . . . أتري سيعرف فنانيكم عن « تجريده » ويختار مذهبنا الجديد دون « سبق » تمثل لتأثيرات ممكنة « - كما يرى «برغسون» أم تراه سيعود الى مذاهبنا التي هجرناها وقد جهلها ؟

ألا يعني ذلك - في الحالين - أنه سينتهي إلى عجزه ن ابتكار أي مذهب يضفي عليه لونه الخاص ، ويحمل طابع شخصيته ؟ هذا الطابع الذي سيعبر عنه ، ويشهد له بحريته في ابتكاره؟ ويهتف ناقد ثالث : ويح فنانيكم ، ألم يبلغ سعيهم قول أحد مفكرينا « إن في كل انسان غريزة عميقة ، ليست هي غريزة الهدم ، ولا هي غريزة البناء ، ولكنها الرغبة في ألا يشبه شيئاً أبداً » فيم ينفردون وحدهم إذن ؟ أولاً يعلمون أنهم انما يرمون الى هدم فنهم الوليد لا الى بنائه ، وأنهم يهدفون إلى مسح «تجريدينا»

لا الى الابتكار فيه ؟

حبذا لو نقلت إلى فنانيكم نصيحتي : دعوا فناني الغرب يكوا وحدهم مآساتهم ، ولا تشاركوهم في بكائهم ، لأن بكاءكم لما يزل له له صخب مدو شبيه بصخبكم في بكائكم على مآسيكم ، مما يزيد من مآساتنا ، ولا نجدنا في غربتنا ، ويفرغ علينا الصبر ! .

لذا عليكم في البدء أن تستعيدوا مذاهبنا التي هجرناها ، وتستأوا تأثيراتها الممكنة لتفيدوا منها . وحذار أن تغلوا في تقليد « تجريدينا » فإلن يفيدكم ! . . .

ومنذ أن عدت إلى موطني وأنا أجيل في ذهني هتاف النقاد الغربيين ، بعد أن مس شغاف قلبي : فأحس بهزة تسري في كياني : كلما طالعني « فن تجريدي » يدهنا به أحد «فنانينا» ثم لا ألبث إثرها أن أصبح مرغماً ببلءٍ في ، وأنا أكتم حزناً دفيناً أورثنيه هتاف النقاد الغربيين بي :

أتري يعلم هذا الدعي من فنانينا أن الفن تعبير عن حضارة الأمة وحياتها الاجتماعية والعقلية ؟ وأن تطوره رهن بتطورهما وازدهارهما ؟

أتراه يعي أن الابتكار فيه ، لن يجيء إلا من عقل الأمة الحضاري وراقيها الثقافي والإجتماعي ؟ .

أتراه يعي أن الابتكار فيه ، لن يجيء إلا من عقل الأمة الحضاري ، وراقيها الثقافي والإجتماعي ؟

أتراه يدرك أن اقباله على الأخذ بنمط « الفن التجريدي » دون تزود أمته بعقل حضاري ناضج ، وراقي ثقافي واجتماعي رفيع ، لن يعني فنها بل يفقره ، ولن يخصبه بل يفضي

به إلى العقم ؟ •

إذا راح الغريون - وقد بلغوا بحضارتهم
ورقيهم العقلي شأواً بعيداً - يطالبون اليوم
فنانهم أو شاعرهم بأن تكون اللوحة أو القصيدة
« عيداً من أعياد العقل » ؟ أفيجدر بفناننا أو
شاعرنا أن يحذو مستخدماً حذو فنانهم أو
شاعرهم ؟

أملزم « فناننا » خاصة ، بأن يجسد في
في لوحاته أعياداً تغاير أعياد أمته ؟
أفلا يدل صنيعه على أنه إذا أضاع نفسه ،
واضطرب في نهجه ، اتتمنى إلى عقل حضاري
واعٍ لم يبدع فيه ، واحتمى برقي فني رفيع
لم يسهم في تكوينه ؟ • •

والسؤال الذي لا ندحة لي عن طرحه :
علام يتهافت فناننا إذن على هذه البدعة
المدمرة التي يصفها « بيكاسو » نفسه بأنها :
« صنعة عميان » ؟ أو يتبغي أن يسمى أعمى في
« فنه » كيما « يجرد » عقل أمته وحياتها من
قيمتها ؟

أم ينبغي أن يحطم هذه القيمة أو يلغيها ،
بعد أن أثبت عجزه عن تكوين هذا العقل ،
ودل على تقاعسه في التعبير عن تلك الحياة ؟ • •

من يدري ، لعله بصنيعه هذا إنما
يقندي « بحكمة الخضوع - للغرب - الخضوع
النهائي » - على حد تعبير - « اليوت » - ! • •

ألا ليته يعلم أن « تجريده » الذي
ينهد له اليوم - والخلق الفني لما ينضج بعد

لدى أمته - دلالة على جهله نفسه ، واضطرابه
في نهجه ، ونسيانه وظيفته ، وتنكره لعقل أمته ،
وانسلاخه من حياتها ! • •

لكأني - وأنا أشهد هذه المحنة تلم بفننا -
استمع إلى عقل أمتي بعد أن عاداه « فناننا »
وخفر ذمته ، ولما يزل في طور نشأته - وهو
يتهمه بتخليه عنه ، ويدينه بوهن إحساسه
بحقيقته ! •

لكأني - وأنا أرنو إلى حياتنا - بعد أن
انقسم عنها « فناننا » وخان عهداها ، ولما تبرح
في بدء تفتحها ونموها - وهي تؤاخذ على
غموض رؤيته ، وضياح هويته ، ونأيه عن
رسالته ! • •

لكأني بعقل أمتي وحياتها ، بعد أن
تقطعت الأسباب بينهما وبين « فناننا التجريدي »
وألقينا أنهما افتقدا في صنيعه حقيقتهما ، لخلوه
من معناها تفرغه من محتواها ، يمضيان
مستغيثين ، ودموعهما تنهمر على خديهما دائبة
لا تهدأ أو ترقأ بعد أن استشعروا رزأهما
العميق في فنه :

حنانيك أيها الفنان !

إن كنا حقاً جديرين « بتجربتك » فلا
تشك فينا ، أو تياس من ظروفنا ، بل أعرف
حقيقتنا ، وافهمها ، وتعاطف معنا ، وعشها
في وجدانك ، ثم اسم بها في فنك ! •

حنانيك أيها الفنان ! عد إلينا رحمةً
بنا • • • وحناناً علينا ! ! • • •

أنا زنجي

شعر: الفيتوري

فوراء الموت • ووراء الأرض
تدوي صرخة أجدادي • •
لستم بنيانا لم تذر الريح رماد الجراد
لستم بنيانا إن لم يجلب الفاصب عنها مدحورا
ان لم تخلع أكفان الظلمة
ان لم تتفجر نوراً • •
ان لم يرتفع العلم الأسود
فوق رباها • • منصوراً
ان يحن التاريخ لكم جبهته فرحان فخوراً
الجفر يدك جدار الظلمة
فاسمع ألحان النصر
هاهي ذي الظلمة تتداعى • •
تساقط • • تهوي في زعر
ها هو ذا شعبي ينهض من اغمائه
عاري الصدر

قلها لا تجبن لا تجبن
قلها في وجه البشرية
أنا زنجي
وأبي زنجي الجد
وأمي زنجية
أنا أسود
أسود لكني حر أمتك الحرية
أرضي افريقية
عاشت افريقية
عاشت أرضي
عاشت افريقية
أرضي • • والابيض دنسها
دنسها المحتل العادي • • •
فلأمضي شهيداً
وليمضوا مثلي شهداء اولادي

الحديث الصحفي الأخير لأرسكين كولدويل

ترجمة: عبداللطيف بهور

في الثلاثينات والأربعينات ذاع صيت كولدويل ك « معجزة النشر » وكأبرز كاتب شعبي يحقق رقماً قياسياً من النسخ التي كانت تدرج في زي « موضة » الكتب الرخيصة الثمن المغلفة بأغلفة ورقية . وحتى الخمسينات كان لناشره كامل الحق في التأكيد على أن كولدويل هو أكثر الكتاب الأمريكيين جمهوراً في العالم . فجمهوره كان ولا يزال عالمي الطابع وحوالي ربع كتب كولدويل بيعت في الخارج .

لم تطالع روايات المؤلف ببساطة ، بل كانت تثير الضجة تلو الأخرى . وقد استقبل تصويره الموضوعي للتمييز العنصري والاضطهاد الفقر المدفع في أقاليم الجنوب الأمريكي في رواياته « طريق التبغ » - عام ١٩٣٢ و « أكر (١) أسياذ الله » - عام ١٩٣٣ وسخرته اللاذعة في كتبه بحراب رجال الدين والقضاة الموالين للجريمة وبعدد كبير من الجنوبيين إجمالاً .

لقد استر عرض مسرحية « طريق التبغ » سبع سنوات على خشبة مسرح برودواي وكان هذا بمثابة حبة حنظل أخرى لسكان الجنوب البيض الذين اتهموا كولدويل بالتشهير بهذا الجزء من الولايات المتحدة .

يطلق كولدويل على كتابه الأخير « قصارى جهدي » اسم « سيرة حياة بيولوجية » ، والواقع أن هذا ليس كتابه الأول في عالم الذكريات . ففي عام ١٩٥١ صدر له كتاب

مات ارسكين كولدويل - الممثل البارز للأدب الأمريكي المعاصر . وبموته فقدت الثقافة الأمريكية لابل والعالمية ككل كاتباً واقعياً موهوباً ، وخبيراً كبيراً في صياغة الكلمة .

والذي جلب لكولدويل الشهرة العالمية وحب ملايين القراء له هو كتبه التي تفصح بسخط نظام العنف والفسوة والتمييز العنصري في الولايات المتحدة . ففي كتبه تنعكس مصائر الأمريكيين البسطاء ، الذين أصبحوا ضحية المجتمع الرأسمالي . وفيما يلي سننشر الحديث الصحفي الأخير الذي أدلى به الكاتب لصحيفة « انترناشيونال هير الدتريبون » .

يتمالك أرسكين نفسه بهيبة صارمة ، وإلى حد ما يتحمل الحرج النابع من بساطته لدى زيارة الصحفيين الذين يحبون استقصاء كل أخبار الكاتب .

أعلن لي، الكاتب الشهير وهو جالس على كرسيه الكبير في بيته الريفي : أنا لن أقول شيئاً . وسأجيب عن الأسئلة فقط .

بلغ عدد الكتب التي ألفها أرسكين كولدويل خمسة وخمسين كتاباً ، وترجمت وفقاً لحسابات زوجته الدقيقة إلى ثلاث وأربعين لغة ، ونشرت بأكثر من / ٨٠ / مليون نسخة . ومنذ فترة قصيرة خرج من تحت الطبع كتابه الأخير الذي يعتبر نوعاً من سيرة الحياة الذاتية وهو يحمل عنوان « قصارى جهدي » .

تحت عنوان « سوا هذا تجربة » وكان هذا حسب تعبير الكاتب نفسه عبارة عن « سيرة حياة ذاتية أدبية » .

وكتاب قصارى جهدي - يتحدث عن حياة الكاتب ، فيبدأ من وصف سنوات الطفولة لابن أحد رجال الدين . ورسمياً يمكن القول أن كولدويل الشاب لم يحصل على تعليم عالٍ - مجرد عدة دورات في الكلية . ولكنه اكتسب معارف عميقة من خلال عمله في مزارع القطن وقيادته لسيارة رابطة الشباب المسيحي أو عندما كان يسجل الأهداف في مباريات البيسبول أو من خلال خدمته كحارسٍ شخصي لسائح صيني أو كطباخٍ في أحد المقاصف أو كمسجل أهداف في البيلياردو .

في العشرينات ينتقل كولدويل للعيش في ولاية مان ومنذ ذلك الوقت وهو يكرس نفسه للأدب .

كان صدور أول روايتين للكاتب وبالأخص رواية «طريق التبغ» مفاجأة مثيرة في عالم الأدب ، وقد حسنت هاتان الروايتان من وضع مؤلفهما المادي وشجعته على أن يجرب نفسه في مجالات أدبية جديدة .

وفي الفترة الواقعة ما بين أواسط الثلاثينات ونهاية الحرب العالمية الثانية قلت مؤلفات الكاتب الروائية . ولكنه نشر مجموعة كاملة من المؤلفات الاجتماعية التي تصور الحياة القاسية للناس البسطاء . وفيما بعد تهللتها أعمال الكاتب التي كرسها بشكل أساسي لكتابة ملاحظاته عن رحلته في بلدان أوروبا الشرقية والاتحاد

السوفييتي (أثناء عمله مراسلاً) لمجلة « لايف » في موسكو في فترة حزيران - أيلول من عام ١٩٤١ ، كتب مقتفياً آثار الأحداث كتأبين أحدهما تحت عنوان « موسكو تحت النار » والآخر تحت عنوان « ألقى كل شيء على سمولينسك » (وقد صدر الكتابان في عام ١٩٤٢) وفي عام ١٩٤٢ ألف رواية تحت عنوان « خلال الليل كله » - والرواية تتحدث عن حركة الأنصار خلال الحرب الوطنية العظمى) .

وبعد الحرب عاد الكاتب إلى نشاطه في ميدان الأدب الروائي ، وأخذ على مدى سنوات عديدة يصدر بمعدل كتاب واحد في السنة .

وحسب تقييم النقاد كانت كتب هذه الفترة أضعف من كتبه السابقة . بيد أنها استمرت في شعبيتها وسط القراء وعلى الأخص في أوروبا .

وفي سيرة حياته الذاتية الأخيرة يعدد الكاتب « الإتهامات » التي وجهت له على مدى سنوات عديدة - فيجد نفسه أنه كان بليداً ومرهفاً وعنيداً وأنه كان يجد لذة في تعذيب الآخرين كما كان دائماً يتشبث برأيه » . وعندما سألته عن رأيه بهذا الخصوص ، بدأ أرسكين كولدويل يتحرك باضطراب في مقعده وقال :

كنت دائماً أعتبر أن عملي أهم من كل شيءٍ آخر ، ومن الجائز اني كنت أضطر لأن أكون أناانياً فلا أفكر إلا بهذا العمل .

(١) الاكر مقياس للمساحة يساوي ٤٨٤ ياردة مربعة او نحو اربعة آلاف متر مربع .

عن زاو بيجوم السوفييتية
العدد ١٦ (١٣٩٧) - ١٩٧٨
تاريخ (١٧ - ٢٣) نيسان - ١٩٨٧
موسكو

يوم آخر للحزن

اهل انا فعلا بحاجة الى كمية من الحزن حتى اعيد حساباتي ، وأخفف من سرعتي ، قد يكون في الامر مغالطة ، انما الملاحظ أن حالة الوجوم أخذت تحتل مساحة كبيرة من بيدري أيامي . لم يعد للفرح النصيب الكافي بعد أن كان المسيطر بعدته وأعداده على نمطي المتلف بأن اكون في كل الثنايا بسمة رقيقة ، رعد هادر ، نداء يستحلب صديد الأيام .

تذكرته انني وحيد مع حلم موبوء له اطراف كما الاخطبوط عمياء تمتص رحيق الحياة من الاشياء التي تصادفها ثم تختفي . . بعيدا عن العيون والشك يقتلها ، يزرع سهامه المسمومة في أعماقي ويكون السقم الأصفر واغفاءة النوم . تذكرت ذلك والطريق الطويل يحتويني في سفر آخر نحو التلاشي مبتعدا وصوتك يقول (انها محاولة للهرب) . تذكرت أنها المرة الثالثة للهرب ، لن اجزم بأنها محاولة لانهاك قواي حتى أتقدم بشكل واقعي ملموس بعيدا عن الأحلال التي أحلق معها هرباً مما انا فيه ، انهم يمتصون رحيق الزهور يعبشون بأزهار الحديدية ويطلقون الأصوات النشار لقتل كل ماهو جميل ، وها أنت تمارسين ذات الدور .

- أعرف .. لماذا الغياب ..

- وما ادراك ؟ ..

- وقوف .. رفيقاتك وحيدات ورحيلهن

- دونك ..

- اني تعب ..

- وهل هذا التعب .. يدفعك الى الهروب

حتى مني ..

- اجل ...! ...!

تردد صدى (اجل) في داخلي ثم طفح على السطح ، لم يكن معي آخرون ، انما انتصب فوق المقاعد المحيطة بمكتبي ، هياكل آدمية واخذت الأصوات المحيطة ترتفع مجلجلة تناقش امرا لا أدركه واذا بأحدهم يتقمص صوتك ، يعلن بشكل افتزازي انسحابي غير الانساني متخليا عن مواعني المتقدمة للغزاة الذين أخذوا يهدمون المنازل ، يغتصبون النساء ، يقتلون الأطفال ، يقنصون الأرض . .

أخذت أتلفت يمينا وشمالا أتابع الجماجم المتحركة فوق هذه الهياكل راصدا حركة كل فك ومتابعة ما يخرج من كلمات وغبار ، امتلأت

الغرفة الخالية الا مني بالفبار وقصاصات الورق والحروف والعبارات المتناثرة وأزير رياح منتصف شباط تصفع واجهات الدور وتحطم أغصان الأشجار اللدنة ..

- لن انتظر .. اكثر

-

- لقد أصبح الموقف صعبا ..

- وماذا بيدي .. أنت في حل من اي ارتباط

- بهذه السهولة .

- أبدا انما حتى لا اكون سببا في تعاسة

الآخرين .

- اذا ..

- اذا أعلن موتي للمرة الثانية وهذا الاعلان

يعطيك حكم التمتع بالحرية الكاملة واختيار البعد الآخر .

الضحيج يرتفع والكلمات المتداخلة لم تعد تجدي بعد أن تباينت المواقف واخذ الائتلاف يتفتت ويصبح محاور ، كل محور يناقش قضية جانبية بعيدة كل البعد عن قضيتنا ووقفت وقد وضعت يدي على أذني ثم أغمضت عيني وغادرت مكتبي .. أخذت أزيح ما يعترض طريقي من نفايات الطريق الى الباب طويل يحتاج الى آخرين لم أحاول فتح عيني أو رفع يدي من على أذني مستخدما كتفي وصدري ومقدمة حذائي ، الاحتجاجات ترتفع ، وانهيال الأكوام التي أمامي تصدر أصواتا مما يؤكد أنها بقايا أناس مازالت فيهم بقايا ونبض ..

وشعرت أنك بقربي أصابعك العظيمة انغرزت في خاصرتي محاولة شد ذراعي اليمنى لا أدري ماذا كان الموقف فقط صوتك هو دليل قربك مني أرتفع الضحيج ، تعاظم الوقت ، شعرت أنني بحاجة الى فتح عيني لأرى ما حولي ، لم يكن هناك أحد . الظلام دامس ، السواد يلف الكون ، مازالت سماعة الهاتف على أذني . أعاود الاتصال والصوت القادم يقول لا أحد في الجانب الآخر . انني وحيد ويدي تتصلب عضلاتها ، أشعر بالخدر يدب في أطرافي ، الدم يهرب ، خاصرتي تؤلني ، انهم يكون ، البكاء الحار يصلني شجنا ، الظلام لا يسمح برؤية الأشياء ، لا شيء في طريقي سوى البكاء الذي أخذ يقترب أكثر ، يقترب أكثر .. يقترب أكثر .

الريح .. والذكرى

هم محظوظون ، كل أولئك الذين أجروه سكتاً لهم ، يأتونه قبل مضي عام على استئجاره أحياناً ، وهم خجلون منه ، لأنهم بحاجة ماسة الى السكن الذي سيصبح عش الزوجية لابن المالك « . وضع حمله وعاد أدراجه ، ثم توقف فجأة ، قبل أن تغييه ساحة الدار ، وكأنه تذكر شيئاً :

– لا تركي شيئاً قبل أن يستقر ، فلا يهتز أو يميل ، فيقع . يجب ألا تنسي أننا كلما رحلنا ...

قاطعته قائلةً :

– أي كل عام

– نعم ، كلما رحلنا ، وكل عام ، أضعنا ،

أو سرق لنا شيء .

– لا تخف .

غيبته بوابة الدار . قلبت كفيها ، ومطت شفيتها « كل شيء يجب أن يستقر ، فلا يميل أو يقع ، أما نحن فلا حاجة بنا للاستقرار » . فصم أذنيه ، لم يكن شعوره بالملل والقهر عاد سريعاً هذه المرة ، وسمع جملتها الأخيرة بأقل من شعورها . توقف وراح يتأمل فراشة وأدوات مطبخه وكتبه ، وقد تداخلت وتجاورت وعلا بعضها فوق بعض مسح عرقه .

– ما بك توقفت ؟ .. قلت لك : كل شيء

بخير ، أحضر باقي الأشياء واطمن .

قال معتذراً :

– خذي هذا الصندوق .
أقامت طولها ، وأمسكت وسطها بكلتا يديها :
– الله يتوب علينا ، وينهي هذه الرواية .
– قلت : خذي هذا الصندوق الآن ،
واحرصي على ما فيه .
تناولت منه حمله بأعصاب مجهدة :
– ماذا فيه ؟

وضعته فوق كومة الأثاث داخل السيارة الشاحنة ملقاة نظرة سريعة على محتواه : « آه إحرصى عليه ! ان من يسمعك يظن أنك وضعت فيه جنى العمر ، ألوفاً مؤلفة » ونوت عنها تنهيدة قصيرة وسريعة « إيه . . الألوف ورق وما في الصندوق ورق ، كله واحد » .

كانت تحدث نفسها ، وهي تروح وتجيء فوق ظهر السيارة مرتبة لوازم البيت وأثاثه بينما « عارف » يغيب داخل البيت ، ويعود حاملاً شيئاً ما ، يضعه أمامها – في مؤخرة السيارة – لتجره أو تحمله إلى الداخل . سمعها تهتمهم حينما عاد :
– أشياء قليلة .

لم يشأ أن يرد لأنها تعرف أنهما قد بحثا معا عن مسكن يأويهما داخل البلدة دون جدوى ، كما تعلم أنه لم يكن أمامهما وأولادهما سكن إلا في الشارع أو الريف ، وأنهم باتوا مخيرين بين ذلك والدخول في مشكلة مع المالك الذي شاء أن يزوج ابنه اليوم . وابتسم . « كم

— دعيني أستريح قليلاً .

كان يشعر بحاجة إلى الراحة ، ولكنه لم يتوقف طلباً لذلك « لو كان لهذه الأدوات لسان لنظقت وشكت هي الأخرى . في المرة السابقة ، سرق منه الصبية لفافة ورقية مغلقة بالقماش ، عبثوا بها ، وأتلفوها . ربما ظنوا أنها ليست أكثر من صورة زاهية الألوان . ترى هل كانوا يعلمون أنها هديته إلى عروسه ليلة زفافه ، وهل فعلوا ذلك وهم يعرفون أن الدائرتين الحسراوين اللتين رسمهما عليها تمثلان موقع قرينته وقرية زوجته ؟ !

— ألا يكفيك هذا الوقت للراحة ؟
هيا . . أسرع قليلاً قبل أن تغرب الشمس .
تنبه من شروده ، جر قدميه نحو الداخل ، ثم عاد :

— خذي ، لم يبق شيء .

* * *

تحركت الشاحنة ، وبدأ ما بها يهتز ويتمايل وهو يوزع نظراته تجاه كل صوت أو حركة ينطلقان من أذنيه . واخترقت السيارة شوارع البلدة دون أن يتبين الناظر إلى حمولتها وجود « عارف » بين الأشياء ، وتجاوزت البساتين المحيطة بالبلدة وراحت تفرقع وتطرطق فوق شارع امتد كنصل سكنين صديء ، وسط أرض قاحلة جرداء .

أطلق نظره بعيداً فيما حوله ، كادت الشمس تفرق خلف سلسلة جبلية ، امتدت بعيداً ، موازية للطريق ، بدت بعض الأشجار على قممها ، وهي تتراقص ، مع اهتزاز السيارة كأشباح ، أو مثل صور مطموسة المعالم ، تشبه خيال الظل .
لاشك أن المسافة التي سيقطعها إلى سكنه

الجديد مديدة على قدم السائر ، ولكن السيارة ستتجاوزها خلال ساعة ، أو بعض ساعة ، فليغتم هذا الوقت للراحة ، والجلوس فوق أثاث بيته ، قبل أن تداهمه المرحلة الثانية من التعب ، ويبدأ بانزال الأثاث وترتيبه ، وليطو قامته أمام هذه الرياح بعيداً . احتوت نظراته الشاحنة وما بها ، جلس القرفصاء . أطلقت الشاحنة صوتاً قويا ، وأحس بعجلاتها تتسارع ، وتثب كمصارع في حلبة . صفرت الرياح في أذنيه ، وجاذبته قميصه . حلق فوق رأسه شيء ، مالبث أن ذهب مع الرياح بعيداً . احتوت نظراته الشاحنة وما بها ، وسرعان ما اتضح له الأمر « لقد انقلب الصندوق الذي أوصى به زوجته خيراً ، ترى ما الذي فقده هذه المرة ، ليكن أي شيء ، يكفيه إحساسه بالفقد والضياع ليشعر بالمرارة :

— قف . . قف . . أرجوك أن تقف

ولكن السائق لم يسمعه ، كما لم تسمعه جوارره ، الداخل . صك أسنانه ، وضرب الهواء بقبضة يده « لا فائدة من الصراخ » قفز إلى الصندوق ، أقامه ووضع فوقه بعض الوسائد « لو أنها فعلت هذا لكفتة الألم ، ودفعت عن نفسها اللوم . » أتكون عاقلة إذا ما فعلت ذلك عامدة ! . كثيراً ما سخرت منه ومن أوراقه (لقد حمل والذي قبلك ، من فلسطين ، كل جريدة تحدثت عن الثورات الفلسطينية وجاء بها إلى هنا . سله ، بل انظر أنت ماذا فعلت له !) . تأمل المكان جيداً عرف أن الشاحنة كانت تدور حول منعطف ، متحاشية صخرة كبيرة ، تنأت عند طرف معبر مياه صغير توسده الطريق هناك .
أحس بالتعب ، قرفص جالساً ، وما لبث

أن هب واقفاً « لماذا لم أفقد ملعقة أو قدراً ؟
إنهما ليسا وطني ، أفقد وطني ، وأفقد ذكراه؟! »
ثم تهاوى جالساً « إذا فإملت هي ذلك ، فلن
تكون عامدة » .



حينما استقل السيارة الذاهبة إلى البلدة،
في صباح اليوم التالي ، لم تخنه ذاكرته ، طلب
من السائق التوقف عند المعبر ، ترجل ، وراح
يفذ السير في أرض حصوية مستوية ، سرعان
ما بدأت تصعد به الجبل ، وهو يتلفت يسنة
ويسرة . علت الشمس رأسه وأدركه التعب ،
نظر الى القمة « انها تبدو قريبة ، ولكنها
بدت كذلك عند المعبر » توسطت الشمس كبد
السماء ، مسح العرق عن جبينه ، تطاولت
قامته ، واستوى ظهره الى جانب الأشجار البرية

في القصة . ضحك . أبدو الآن للبعيد عن
شبحا ؟ ليكن كذلك ، « أنا أعرف أنني إنسان
وسأبقى كذلك حتى يقرب البعيدون مني
ويتأكدون من حقيقتي ، مثلما أتأكد الآن بأن
هذه شجرة بلوط ، وتلك شجرة سنديان » .
- بالله . . ما ذاك ؟

قفز إلى شجرة السنديان ، توقف على بعد
خطوات منها ، وراح يتأمل صفحة ورقية علقت
بأغصانها ، وتشبثت بها ، تجاذبها الريح
وتذهب بها مزقة إثر أخرى . مد يديه إليها
مناجياً :

- الى أين تذهبين ؟ أظننت أنك المسيح ؟
مأنت الا صورة المسجد الأقصى ، احتفظت
بك لأصنع لك إطاراً ، وأعلقك في بيتي للذكرى !
تقدم منها ، نزعها برفق وهو يقول :
- تعالي ، لقد آن لهذا الفارس أن يترجل .

عالم الشقحاء القصصي

سمر روجي الفيصل

ذات مساس بالأمة العربية ، وإنما راح ينكفئ الى الداخل ، داخل بطل القصة ، لبحث عن هويته الشخصية المحلية وعلاقاته بالواقع الاجتماعي المحيط به .

وأول وهلة ، يفاجأ المرء ، اذا تبع المنهج التاريخي ، بالعالم القصصي لمجموعة « البحث عن ابتسام » . فهو عالم النساء وليس عالم الرجال . والمراد ، هنا ، أن هذه المجموعة تصور معاناة المرأة السعودية وتقدم وجهة نظرها في الواقع الاجتماعي ، وتسمى الى تحديد كياناتها . غير أن المرأة تغدو في المجموعات الأخرى شيئاً من معاناة الرجل ، لأن المجموعات الأربع الأخرى تصور عالم الرجال وتجعل النساء يعشن في ظلاله . ولهذا السبب فإن المنهج التاريخي يعلن ، ثانية ، اخفاقه في التعامل مع عالم الشقحاء القصصي ، لأن قراءة المجموعة الخامسة « الزهور الصفراء » (٢) قبل المجموعة الثانية « حكاية حب ساذجة » (٣) لا تغير من طبيعة العالم القصصي وأن تباينت المجموعات في التركيز على عالم النساء وعالم الرجال .

يخلص المرء الى أن المنهج التحليلي خير المناهج في التعامل مع قصص الشقحاء . وهذا المنهج يضع بين أيدينا حقائق أدبية عن عالم الشقحاء القصصي ، يستطيع باحثون آخرون اختبار صدقها وشمولها أية مجموعة من المجموعات الخمس ان لم نقل : أية قصة من قصص هذه المجموعات وأبرز هذه الحقائق كون عالم الشقحاء القصصي محدوداً ضيقاً . فشخصياته تتحرك في الطائف ، وحين تغادر هذه المدينة تذهب الى القرية (٤) أو الى الرياض العاصمة . وعلى الرغم من الثبات في المكان فإن المرء لا يستمد من قصص الشقحاء ملامح الطائف أو القرية أو الرياض . بل انه يستطيع بسهولة وضع اسم آخر بدلاً من الطائف دون أن يتغير شيء في طبيعة هذه القصص . ولسنا راغبين في التمسك بهذه الملاحظة ، لأننا نعلم أنها ليست نقيصة خاصة

للقاص السعودي محمد المنصور الشقحاء خمس مجموعات قصصية ، هي : البحث عن ابتسام (١٣٩٦ هـ / ١٩٧٧ م) - حكاية حب ساذجة (١٣٩٩ هـ / ١٩٨٠ م) - مساء يوم في آذار (١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) - انتظار الرحلة الملقاة (٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) - الزهور الصفراء (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) . والباحث في قصص هذه المجموعات ، وهي تسع وسبعون قصة ، يصعب عليه ، أول وهلة ، الامساك بالخيوط الرئيسية فيها . لكنه ، بعد شيء من انعام النظر ، يكتشف أن المجموعات كلها تصور عالماً واحداً ، وتعوض بالنواجز على مفهوم معين للقصة القصيرة .

١ - العالم القصصي :

حين يتبع المرء المنهج التاريخي في الحديث عن المجموعات الخمس يكتشف أن هذا المنهج لا يصلح لها . وذلك أن ترتيب المجموعات بحسب تاريخ صدورها لقراءتها بفقية معرفة التغييرات المضمونية والفنية التي طرأت عليها ، لا يقدم أية فائدة مميزة للناقد والقارئ على حد سواء . فأخر مجموعات الشقحاء مثل أولها مضموناً وشكلاً . وهذا أمر غريب لم نعهده كثيراً في القصة العربية ، حتى أنه يخيل الى المرء أن المجموعات الخمس كتبت في زمن واحد وان نشرت بين ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٧ م و ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

غير أن المرء يلاحظ انفتاح العالم القصصي في المجموعة الأولى « البحث عن ابتسام (١) » . إذ ضمنت هذه المجموعة قصتين عن فلسطين هما : « المنحوسة وتذكرة سفر الى القدس » و « أوراق من مذكرات فتاة فلسطينية » . الا أن هذا الانفتاح عرضي وليس جوهرياً في عالم الشقحاء القصصي . إذ انه لم يكرر في تصفه الأخرى - وهي سبع وسبعون قصة - أي حديث عن القضية الفلسطينية ، أو عن أية قضية أخرى

بقصص الشقحاء ، وانما هي عامة تكاد تشمل
القصة والرواية العربيتين . فحس المكان مازال
ضعيفاً في النثر القصصي العربي ، فلا خصوصية
فيه ، ولا يكاد القاصون والروائيون يعيرون بناءه
اهمية توازي اهميته في الواقع العربي الذي
يتمحون منه مضامين أعمالهم . والمشكلة ان
عالم الشقحاء القصصي لا يشكو من هذا النقص
وحده ، فهناك ضيق آخر في حركة الشخصية
عنده . ويتجلى هذا الضيق في انها قعيدة المنزل
او مكان العمل او المقهى او الملهى او الطريق (٥)
ولهذه المفردات امتدادات عدة هامة ، لكننا
نكتفي هنا بالقول ان ضيق المكان العام (المدينة)
واكبة ضيق في المكان الخاص (العمل - المنزل . . .)
بل ان هناك ضيقاً آخر في المكان الخاص . اذ
يكاد منزل الشخصية يقتصر على غرفة النوم
او على غرفة التلفاز ، كما يقتصر مكان العمل على
غرفة المكتب . وقد يكون ضيق البيئة المكانية
عاملاً من عوامل نجاح القصة اذا كان هدف القاص
التركيز على علاقة المكان بالحوادث ، او خلق
المؤثرات في سياق القصة ، او التعبير عن ارتباط
المكان بأخلاق الشخصيات وسماتها . . . لكن محمد
المنصور الشقحاء لم يحاول توظيف المكان ولا
الاستفادة من الحيز الضيق الذي تحركت
شخصياته فيه .

على ان هناك تفسيراً آخر ، هو ربط
ضيق المكان بعالم الشخصيات القصصية .
فالقارئ يلاحظ بسهولة ان غالبية الشخصيات
تعمل في إحدى الوظائف . وهي ، في عالم
الموظفين ، رقم من الأرقام . تشعر دائماً بالوحدة
والملل والرغبة في تغيير الوضع المادي . كما
انها - في الأعم الأغلب - لا تؤدي عملاً منظوراً
فتعاني من الفراغ ، او انها مصابة بالخواء الداخلي
ومن ثم تروح تسقطه على عملها فتخفق فيه كما
اخفقت في علاقتها العاطفية . ولهذا السبب تهرب
الى المقهى او مشاهدة التلفاز او اللعب «بالورق»
والبديهي في وضعها المادي والنفسي الا تكثر
حركتها في المكان ، وان تحمل دوماً الرغبة في هجر
الوظيفة الى اخرى طمعاً في الحصول على الثروة
ولا يخالج المرء اي شك في ان عالم الشقحاء
القصصي عالم الموظفين المخفقين الذين يشعرون
بالملل ويضجون من الفراغ ويسعون الى التواصل
الانساني مع الآخرين . وهذا يقودنا الى دلالة
محددة ، هي ان عالم الشقحاء ضيق مكانياً
لانه ضيق مادياً . ولسوف نضيف الى هذا
التفسير ذلك الاخفاق الدائم في علاقة الرجل
بالمرأة . لكننا ، هنا ، قادرون على ان نفسر

حركة الشخصيات خارج الطائف بالرغبة في التجديد
وتحسين الوضع المادي (٦) . فهذه الشخصيات
تهاجر الى الرياض للعمل غالباً (٧) ثم تعود الى
الطائف حاملة شيئاً من المال . وقد تهرب من
الطائف عائدة الى القرية مهدها الأول ، حتى ان
هناك حوادث قصصية تغييب الشخصيات فيها
سنوات طويلة ثم تعود حاملة المال وملاحظة التغيير
الذي طرأ على الطائف . كما ان هناك حوادث
اخرى تستقيل الشخصية فيها من الوظيفة
لانها لا تلائم الطموح المادي الذي يعتل فيها (٨) ،
او ان الوظيفة لا توفر المكانة الاجتماعية التي
رنت الشخصية اليها طوال حياتها .

واللافت للنظر ان الوحدة التي تعاني منها
الشخصيات تنبع من الفراغ العاطفي . بل ان
حركة هذه الشخصيات مرتبطة في غالبية القصص
بالمرأة ، سواء اكانت الحركة في المنزل ام الوظيفة
ام الهجرة لطلب المال والمكانة الاجتماعية . وعلى
الرغم من الحاح قصص الشقحاء على ربط المال
بالمكانة الاجتماعية ، الا ان الشخصيات لا تعاني
من الفاقة ، ولا يشعر القارئ ان عالم الشقحاء
هو عالم الفقراء ، وانما يشعر ان الشخصية
متوسطة الحال دوماً ، وان مللها في عملها صادر
من الخواء الداخلي ، من فقدان المرأة . . . وهذا
وحده يفسر ذلك السعي المحموم الى المرأة حبيبة
وزوجة واما ، كما يفسر الاخفاق في العمل
بالاخفاق في الحصول على المرأة . ومن ثم تكثر
في عالم الشقحاء القصصي حوادث الشك في المرأة ،
وتذكر الحبيبة القديمة ، والخلافات الزوجية ،
تعدد الزوجات ، والزواج دون حب ، والخيانة ،
والعودة الى الام وتذكر آثارها (٩) . وهذه
المفردات تبدو دائماً داخلية ، تهجن الشخصية
بها في العمل والمنزل ، وحيدة وبين الاصدقاء .
حتى انه يصدق وصف قصص الشقحاء بانها
قصص الرغبات الداخلية للشبان الموظفين ، وهي
رغبات مكبوتة تؤثر في العمل وفي الحياة الزوجية
وفي علاقة الشخصية بالواقع الاجتماعي عموماً .
وحين يبحث المرء عن مسوغ اخفاق العلاقة بين
الرجل والمرأة لا يعثر على شيء . فالقصص
لا تعلق الاخفاق وانما تتحدث عنه وكأن اقناع
القارئ به ليس من مهمتها . لكن الرجل يبدو
دائماً مركز العالم القصصي . فهو الأمر الناهي ،
المحب ، الباحث عن المرأة ، الساعي الى استمرار
الحياة في صورة البحث عن الاولاد ، والذكور
منهم خاصة . وهذا التمرکز حول الرجل هو الذي
يوجي الى القارئ بأن القصص تكرر نفسها ،
وتلوك مشكلتها الوحيدة ، مشكلة العلاقة بالمرأة .
بل ان محمد المنصور الشقحاء حرص كثيراً على

تسمية شخصياته بأسماء محددة لا تكاد تتغير
فأسماء غالبية الرجال عنده هي : صالح - محمد
- خالد - فهد ، وأسماء غالبية النساء هي :
نورة - حصة - فاطمة - فائق - مريم .

هل يشير ذلك كله الى عالم قصصي يتسم
الرجل فيه بجهل المرأة فيحاول الكتابة عنها
سعيًا وراء معرفتها من وراء حجاب ؟ ... ربما
كان ذلك صحيحاً ، الا ان الواضح في عالم
الشقحاء القصصي ذلك الضيق في دلالات الحوادث
القصصية ، حتى ان المرء لا يكاد يجد دلالة اكثر
وضوحاً وتأثيراً من جهل الرجل بالمرأة . كما
ان الحب لا يستوي على الجادة في هذه القصص ،
فهو يتصف دوماً بالاخفاق شأنه في ذلك شأن
العلاقة الزوجية والعمل . يعبر ذلك عن واقع
الطائف ؟ لا يملك المرء اية اجابة لجهله بالواقع
الذي يتحرك الشقحاء فيه . غير انه يشعر في أثناء
القراءة بأن القاص يمتح من خياله بأكثر مما
يتمتع من واقعه . فالعالم عنده مقبور على
العلاقات العاطفية بين الرجل والمرأة ، ويكاد
يخلو من المجتمع الذي يؤثر في هذه العلاقة . وكنا
أشرنا الى الضيق في المكان ، ولعلنا قادرون الآن
على ترسيخ الاشارة نفسها بالنسبة الى الشخصيات
والحوادث القصصية .

٢ - تقنية القصة :

الواضح ان محمد المنصور الشقحاء يكتب
القصة دون ان يعير القارئ ما يستحق من
اهتمام . ذلك ان بناء القصة عنده لا يضم اية
محاولة لاقتناع القارئ بما يعرضه عليه . فهو
يقدم له حدثاً غير واضح الملامح ، لا ينمو في
السياق ، ولا يضم القدرة على الايحاء ...
صحيح انه يعتمد كثيراً على التداعي ، لكن التداعي
ليس منظماً عنده ولا يقود الى اية دلالة ، ولا
يتضمن العمق الفكري الذي يجعله تعبيراً عن
عن نوع معين من الحياة النفسية والاجتماعية .
ومن ثم ليس هناك اتقان لتقنية التداعي . بل
ليست هناك اية عناية بالتركيز والتكثيف وهما
أبزر تقنيات القصة الحديثة ، اضافة الى فقدان
وحدة الانطباع في قصصه . ويعجب المرء حين
يقرا القصة فلا يخرج منها بشيء . ولا تتغير
النتيجة بعد معاودة القراءة والتدقيق ، وكان
القاص الشقحاء يقصد الى ذلك قصداً . وما هو
اكثر ايلاماً ان تفقد غالبية القصص وحدة
الحديث . فالمرء يقرا عن شيء ثم يلاحظ ان القاص
نقله الى شيء آخر دون ربط بين الشئين ، مما

جعل بنية القصة تصاب بالخلل نتيجة افتقارها
الى وحدة الحدث .

ولأن قصص الشقحاء تستوي في هذه
اللامح الفنية الباهتة اعتقد المرء انها كتبت
في زمن واحد اذ ليس من المعقول في الواقع الأدبي
ان ينشر المرء خمس مجموعات قصصية دون ان
تنمو قدراته الفنية فيقبض على تقنيات التركيز
والتكثيف ووحدة الحديث والانطباع . ويعجب
المرء اكثر حين يقرأ صوغين لقصة « الوباء » (١١)
دو ان تتغير القدرة على المعالجة فيهما . والواضح
ايضاً ان القاص الشقحاء ملتزم بالسرد بضمير
الغائب في قصصه كلها تقريباً . . لكنه يألف
كثيراً السرد الانشائي ويأنف من السرد الخبري
وهو عماد القصة القصيرة . ومن خلال السرد
الانشائي تراه يكثر من ذكر عبارات الملل والوحدة
والفراغ ، لكن القارئ لا يطالع حوادث تنم
عن ذلك أو تجسده . ويبدو ان حس المغامرة
بالشكل الفني للقصة القصيرة ضعيف لدى
الشقحاء ، ولهذا السبب لم يغادر السرد الانشائي
وضمير الغائب الامرات قليلة جداً . ففي مجموعة
« البحث عن ابتسامة » لجأ في قصتين (١١) الى
ضمير المتكلم ، كما لجأ في مجموعة
« الزهور الصفراء » الى تقسيم النص الى
مقاطع تفصل بينها أرقام (١٢) أو علامات
أخرى (١٢) . وما عدا ذلك فان المرء لا يعثر على
اية محاولة لتنويع البناء الشكلي للقصة .

تشذ عن الأحكام السابقة اربع قصص ،
هي : الموت - أوراق اليانصيب - الرحيل النهائي
- انتظار الزمن الآتي . فهذه القصص متماسكة
موحية ذات دلالة ووحدة في الحدث والانطباع ،
ولا ينقصها كثير من التركيز والتكثيف . فأوراق
اليانصيب (١٤) مبنية حسب تقنية المقاطع . كل
مقطع منها يعبر عن مشهد يتعلق بالصبي بائع
أوراق اليانصيب أو بالمرأة الشقراء ومرافقتها .
وتتوالى المشاهد بتوتر ، فهي قصيرة لا تتجاوز
خمس أسطر غير مرة واحدة . وتروح من
خلال انتركيز تعرض ما تم قبل الانفجار وبعده ،
متخلية في المقاطع الثلاثة الأولى عن السرد المنطقي
والنسق الزمني الصاعد ، عائدة اليه بعد
ذلك ، منتهية الى مفارقة تعلنها الصحف في اليوم
التالي . انها قصة جميلة . بل انها أجمل قصص
المجموعات الخمس . ولا تضاهيها القصص الثلاث
الأخرى في الجمال ، لكنها تدانيها في التماسك
والقدرة على الايحاء . فقصة « الموت » (١٥) تبدأ
من نهايتها ، من عودة البطل الى منزل والدته ،
ثم تكرر راجعة الى البداية ، وتمضي تطرح تلك
العلاقة البريئة بين البطل وحبيبته فائقة حتى

ينقلب ظهر المجن فتموت فائقة دون أن يعلم البطل أنها كانت مريضة وأنها تعمدت تأجيل زواجها منه لمعرفة ان أيامها في الحياة معدودة . ومن خلال هذه العلاقة تصور القصة الحب دافعا الى النجاح في الحياة العملية ، وتجعل فقدانه سببا في النقوص الى الوراء كما فعل البطل حين ترك الرياض وعمله الأدبي والصحفي فيها عائداً الى منزل والدته ، ممزقا صورة فائقة بعد قرعة باب منزل والدته . والقصة نفسها تشير ، من جانب آخر ، الى بناء فني أشبه بالقصة المدورة التي تنتهي من حيث تبدأ ، وكأنها تسير حول دائرة .

وليس من المفيد التوقف عند القصتين الأخيرين (١٦) لأنهما لا تقدمان جديداً في التقنية الفنية خارج ما أشرنا اليه في قصتي « أوراق اليانصيب » و « الموت » . ذلك أن المرء راغب في القول ان القصص الأربع - وهي جيدة بأي مقياس فني ومضموني - تعد دليلاً على أن محمد المنصور الشقحاء لا يفتقر الى الموهبة القصصية، ولا القدرة على بناء القصة بناءً فنياً

سليماً . ومن ثم يغدو تعليل الثغرات - القليلة والكثيرة - في القصص الأخرى سهلاً . إذ انها تفتقر الى التدقيق ، وتحتاج الى شيء غير قليل من الريث والأناة في أثناء كتابتها ومعاودة النظر فيها . ولعل القاص الشقحاء يكتب نصوصه دون ان يسأل نفسه : ما الذي أريد قوله ؟ وهل يصل ما كتبت الى القارئ اذا اتبعت هذا الأسلوب ؟ وربما احتاجت لغة الكتابة الى قسط وافر من هذا التدقيق . فالقاص لا يدقق في بناء الجملة ، ولا استعمال علامات الترقيم ، ويترخص في أحيان كثيرة - في اللغة . فالجملة التالية - على سبيل التمثيل لا الحصر - تفتقر الى الدقة اللغوية : « هذه الجملة ترسبت في أعماقه كثيراً على الرغم أنها حديثة العهد بالنسبة لمواقفه » (١٧) . وبقليل من التدقيق تغدو الجملة المذكورة سليمة متماسكة . ف « على الرغم » تتعدى ب « من » ، كما تتعدى « بالنسبة » ب « الى » ولا تتعدى باللام (١٨) . وقد تكررت هذه الخطيئات و أمثالها (١٩) في قصص الشقحاء كثيراً، ولا يحتاج التخلص منها الى جهد ووقت كبيرين .

الإحالات :

- (١) : صدرت المجموعة عام ١٩٧٧ ، والاعتماد هنا على الطبعة المنشورة عام ١٩٨٥ في الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة .
- (٢) : منشورات نادي الطائف الأدبي - الطائف ١٩٨٤ .
- (٣) : صدرت هذه المجموعة عام ١٩٨٠ ، والاعتماد هنا على الطبعة الثانية الصادرة عن الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة ١٩٨٥ .
- (٤) : لا يطلق القاص على القرية أي اسم على الرغم من أنه يكرر ذكرها كثيراً .
- (٥) : يصف الشقحاء الطريق بأنها طويلة ، ويحافظ على هذه الصفة دائماً . كما أن الطريق عنده خالية الا من بعض الاطفال .
- (٦) : انظر على سبيل التمثيل لا الحصر قصة « انهم يبحثون عن الزهور » في مجموعة « حكاية حب ساذجة » .
- (٧) : انظر على سبيل التمثيل لا الحصر قصة « الموت » في مجموعة « انتظار الرحلة الملهاء » الصادرة عن القصة السعودي - الرياض ١٤٠٣ / ١٩٨٣ م .
- (٨) : انظر على سبيل التمثيل لا الحصر قصة « النتائج المرتقبة » في مجموعة « انتظار الرحلة الملهاء » .
- (٩) : الام في غالبية قصص « انتظار الرحلة الملهاء » متزوجة من غير زوجها الاول ، ومتخلية - راضية او مضطرة - عن

- (١٠) : انظر ص ٥٥ و ٦١ من : انتظار الرحلة الملهاء .
- (١١) : هما قصة « أوراق من مذكرات فتاة فلسطينية » وقصة « المرسوم » .
- (١٢) : انظر مثلاً قصة « الزهور الصفراء » .
- (١٣) : انظر استعمال العلامات في القصص التالية : البحث عن بقية - في انتظار الحافلة - أهازيج ميلاد جديدة - أوراق اليانصيب - رجل يبحث عن وظيفة - أوراق من يوميات امرأة عاملة - الليل الذكرى المرتخية - الصورة .
- (١٤) : انظر ص ٤١ من : الزهور الصفراء .
- (١٥) : انظر ص ٩٩ من : انتظار الرحلة الملهاء .
- (١٦) : انظر قصة « الرحيل النهائي » وقصة « انتظار الزمن الآتي » في مجموعة « مساء يوم في آذار » - مطبوعات تهامة - جدة ١٩٨١ .
- (١٧) : انظر ص ١١٤ من مجموعة « مساء يوم في آذار » . وانظر نموذجاً آخر في ص ١٣ من مجموعة : « انتظار الرحلة الملهاء » .
- (١٨) : انظر تكرار الخطأ نفسه في الصفحات : ٢١ - ٣٣ - ٦١ - ٧٥ - ١٠٨ - ١٢١ من مجموعة : مساء يوم في آذار .
- (١٩) : من ذلك : الصدفة - الفشل - معلنة عن - مأن - بدون - سوى أن هناك أوراق مساءً - غير مبالي

« شائعة »

قصة اعتدال رافع

الله خلق الدنيا في ٧ أيام .

وعلى كل حبة رز ٧ آيات قرآنية .

والمقاتلون والمغامرون يأخذون صور تذكارية وهم يرسمون بأصابعهم .. ويضحكون .

تتعرق منية القلب .. وتزفر تعبها . تسفح جسدها فوق أرض الحمام ، تخلع « محبسها » ، وتحل شعرها الطويل من دبائسه . تغتسل وهي مطمئنة تماماً :

الاطمئنان ضروري في الحمام ليكتشف البنات جمال أجسادهن .. ويفنيه .

غطاها بخار أبيض ، وصارت جزيرة نائية ملفحة بالقيم . تراقصت أطراف رطبة فوق شفاها وأهدابها كان لها شكل جياذ راکضة . امتطت جواداً . عانقت خاصرتيه بجسدها . وانطلقت في مدى السحب .. وغنت :

الغناء في الحمام يجلي الغم عن القلوب .. وانجلي غمها . تشرب جلدها بالماء ودلكته بكيس الحمام الخشن وفصلت عنه تراكمات اللهاث والفبار . غطته برغوة الصابون . تطايرت فقاعات الرغوة . كانت تراقبها فرحة وتنفخ عليها . تتأرجح الفقاعات بين أنفاسها والجاذبية .. ثم تحط على جسدها وتنفلش .

الفقاعات نجوم والماء مطر وجسدها الأرض . يتجسد حلمها . تراه وتشمه ويتدفق في عروقها مع الدم . هي هكذا دائماً ..

تحلم ، تعيش حلمها وتنفسه . حتى عندما يأخذها النوم ، تنام وهي مفتوحة العينين . ويقولون عن نومها « غزلاني » ، وهي لم تر غزالاً نائماً أو راکضاً الا في أدغال الحلم .. وعينيها . وتصدق منية القلب أحلامها أكثر مما تصدق خوفها .

« - منية القلب وقحة تفني في الحمام !!

تسري الشائعة مع الهواء . تتقاذفها الشفاه . تتخطن الحدود الى أماكن قصية مسكونة بالعفاريت والجن والأنصاب والاطلال وأوبرا والأوابد التاريخية والمستحاثات والناس المتعبين :

« ● منية القلب مجنونة . جنونها خطر . لا تقربوها لأنها ممسوسة . يوم الخميس موعد حمامها ، دلقت ماء فعلياً على الأرض دون أن تتعوذ من الشيطان الرجيم وتبسل وتستاذن الأسياد . تضايق الجن الذين يسكنون تحت بلاطات حمامها ، وغضبوا من عبثها وقلة أكرائها .. ولطشوها .

بالطيف .. جنون النساء مخيف أكثر من جنون الرجال .

الله يثبت علينا العقل والدين «

ومنية القلب تنفي جنونها نفياً قاطعاً ، وتؤكد أن لا علاقة للجن فيما حدث لها ، وان كان هذا الحدث الرهيب الذي ربطوا جنونها به قد توافق مع موعد حمامها .. فمن قبيل الصدفة فقط . وتعترف أنها دلقت ماء فعلياً فوق بلاطات الحمام . فعلت ذلك وهي مستعجلة ، ومعاذ الله ان تكون ملحدة !! تجاوزت طقوس دلق المياه المغلية فوق الأرض ، وكان همها منصّباً على تنظيف بلاطات الحمام من الحيوانات المنوية التي قذفتها الزواحف والحشرات لايقاعها في الشرك الذي أوقعت به صديقتها كريمة من قبل ، ومنذ موت كريمه الذي اكتنفه الغموض ، أصبحت منية القلب مسكونة بهاجس « تحبل البنت من بلاطة الحمام » . لذلك صوّبت أرض أرض الحمام وغسلتها سبع مرات حتى أصبحت لامعة ومصقولة كمرآة .

لا اثر للحيوانات المنوية عليها :

منية القلب « سبيعية » وتحب رقم ٧ . رقم ٧ مفتوح الذراعين الى الأعلى ومتهاب للعناق دائماً ، لا يتعب من تسبيح ربه . أشياء وأشياء تحشر في عناقه عنوة .

ولا ترضخ لبرودة الجثة والاحكام الجائرة .
- أنا لست مجنونة .. امتحنوا عقلي ان
لم تصدونني . اذا سألتوني عن الحب .. فالجواب
جاهز على رأس لساني ونهاياتي المتوفزة : أحب
الله وأنبياءه وانتم والشرطي وساعي البريد
وموظف البلدية .

- كاذبة لا تصدقوها .

وبالفعل كانت منية القلب تكذب . حبها
الدفين . رغباتها المزرحة ، خباتها في الشرايين ،
لحرصها عليها . والحرص نابع من العقل .

كانت تخاف عليها من المصادرة والاعتقال ..
مباحث لأحد بحبها للجياذ والفراشات والغزلان
وحصى الينابيع المفلطحة ورائحة التراب بعد
المطر وجزر الغيوم الوردية في السماء عند الغروب
والألوان الليلية . كانت تعتقد أن مثل هذا البوح
لا يعبر عنه بالكلمات ، وانما بالانطلاق والرقص
والطيران والفناء . وهي محاصرة بجثة وشائعات
تمضفها مثل قطعة البان ، وأحلامها لا تزال
غضة العنق تود لو تصل شقيقتها الأخيرة الى
حدود الشفاه لتنداح بخارا مع السحب .. أو
مزماراً في الهواء .

عصيان غير معطن .
وتوغل في غابات الحلم !!

الجن والعمفاريث والجثة والناس يلاحقونها
.. يهجمون عليها وتضيق أنفاسها عليها . في نومها
وتعبها وتنفتح القبور وتخرج الجثث بعظامها
المجلودة بالبرودة تطالب بحقوقها المقدسة في
كينونة الأنفاس والجسد .

تعلن منية القلب جنونها .
تنطلق وتركض وترقص أحلامها ، وتفني
جمال جسدها « المبلول » .

- منية القلب مجنونة لا تقربوها لأنها
ممسوسة .
لا . . .
اذا صادفتموها في الصباحات ، وعادة تكون
نديه مثلها .
اشحلزوا جلودكم وابتسموا لها . فجنونها
ليس خطراً .
لا تصدقوا الشائعات .

دمشق ١٩٨٥

- لماذا تفنين يامنة القلب ؟
- حتى لا يجف الماء عن جسدي » .

* * *

« النظافة من الايمان » .
صارت منية القلب نظيفة .

خرجت من الحمام ورذاذ الماء يتساقط من
نهايات شعرها ووجهها عابقاً بالصبا . في تلك
اللحظة التي اقتربت فيها من المرأة لتمشط
شعرها ، لا تدري ماذا حل بها . للوهلة الأولى
خيل اليها انكسرت مع المرأة وتبعثرت ، وتناثر
صراخها في كل مكان ، وخرج من شقوق النوافذ
والابواب ، وكف عقلها ان يكون عقلاً ، وتحولت
الى غريزة . بينما كانت ترفع يدها بالمشط
الى رأسها ، طوقتها جثه ترتدي ربطة عنق
وملابس داكنة . ضفطت الجثة بقسوة على يدها
التي كانت تمسك بها المشط . انفرست أسنان
المشط في كفها وحدثت فيه ثقباً حمراء .

- الصراخ فضيحة .

طقطقت الجثة بكفيها الفائررين وخطفت
شفتي منية القلب من مكانهما وضفطت عليهما
بأسنانها الصفراء .

- الجثث ترفل باكفانها في القبور لا تتحرك
وتمشي وترتدي ملابس الاحياء .

ولم يصدقها أحد .

وحكموا عليها بالجنون .

طافت بها أمها والجارات على اضرحة
المباركين واصحاب الكرامات . رقوقها ، وحملوها
التعاويد والحجب ، وبخروجها بدخان « بذور
نبات الحرمل وكشة الثوم والنعناع اليابس وأوراق
الأشجار الخضراء » . دمعت عيناها ، وسال
أنفها ... وبقيت ممسوسة .

ولا علاقة للجن فيما حدث لها .

منذ ذلك اليوم ، أصبحت منية القلب
محاصرة . الجثة تقتفي أنفاسها والشائعات
تلاحقها . وهي تركض وتصرخ وتدافع عن الجن
.. لوحدتها . وعيناها مسكونتان بالغزلان ،
والمروج لم تراوح قلبها ، ولكنها كانت تضيق
على ركض الغزلان أحياناً . تسمع مهبل جياذ
يناديها ، تعانق الصهيل ، وتشرنق داخل
نفسها ، وتصبح كثيفة .. ناصعة الحرير .

مَلَفٌ خَاصٌّ
بِتَكْرِيمِ



الأديب : سعد صهائبي
ع

الدعوة عامة

تحت رعاية السيد محافظ دير الزور الرفيق نديم عكاش

نشرف بدعوتكم للمشاركة في حفل تكريم ابن الفرات الوفي الأديب الأستاذ
سعد صائب وذلك لمرور / ٥٠ / عاماً على نتاجه الأدبي ، ويشارك في
حفل تكريمه السادة:

اليوم الأول :

ناضل سفيان - حسين حموي - د/ابراهيم الكيلاني - د/بديع حقي -
د / اسعد علي - جواد مرابط - الشاعر اللواء عبد المجيد تجار - .

اليوم الثاني:

عبد المعين الملوحي - مدحة عكاش - جمال عبود - جمال علوش -
والشاعر محمد عبد الحدو .

حضوركم يعني السمو والتقدير للادب والثقافة - علماً أن الحفل يقام
بصالة المركز الثقافي يوم الأربعاء والخميس تاريخ ٤ و ٥ / ١١ / ١٩٨٧ الساعة
الخامسة والنصف .

أيها الأخوة

عندما يقف الانسان أمام أعمال كبيرة تستدعيه الذاكرة لبحث في عمقها هذا الجبار ، والمركز الثقافي بأسرته يقف اليوم مع ضيوفه الذين أبوا الا أن يشاركوا في تكريم هذا الأديب العملاق الذي أعطى للمكتبة العربية عددا كبيرا من الباقات الأدبية والفكرية حتى أنها بلغت / ١٥٠ / كتاباً في القصة والرواية والترجمة وأشكال الأدب الأخرى التي كانت عناء خمسين عاماً من التبحر في شتى أصناف الكتب العربية والعالمية ، وكان النتاج كبيراً عظيماً يقف أمامه المرء باجلال لهذه القدرة المبدعة - الخلاقة التي غنت نعم قطرات ماء الفرات في كل كلمة حوتها سطور هذا الانجاز .

نقول كل الحب من أبناء الفرات العظيم لسفيرها في كل المكتبات العربية الأستاذ سعد صائب وتحية تقدير لكل ضيوفنا الذين شاركونا هذا الحفل التكريمي . والسلام عليكم .

كلمة : مدير المركز الثقافي العربي بدير الزور

عدنان الناصر



كلمة الأستاذ: فاضل سفان

والصحف منذ ١٩٣٦ وهو لم يتجاوز العقد الثاني من العمر - أمد الله في عمره .

فقدم للمكتبة العربية ١٤٨ كتاباً في مجالات مختلفة يغلب عليها طابع الأدب .

طبع منها /٦٧/ سبعة وستون أثراً ولا يزال /٨١/ واحد وثمانون أثراً ينتظر النشر .

ومؤلفات « أبي هيثم » جنة دانية القطوف متباينة الطعوم والألوان ، فيها الحوارية الرامزة ، والقصص المترجمة والمقتبسة ، والدراسات الأدبية الممتعة ، والنقد الموضوعي البناء .

ولم في الترجمة - عن اللغة الفرنسية - على وجه الخصوص - باع طويلة .

ولقد فتح نوافذ المعرفة على كنوز العالم الثالث الأدبية التي كانت بعيدة عن الأضواء الباهرة ، فقدم من نتاج أمريكا اللاتينية وأفريقيا

اعترف بأنني قد تلجلجت طويلاً ، والتأتأت بياني ، وجمحت عن قيادي الكلمات ، وأنا أعد لهذا الموقف الذي أقدم فيه الأديب العربي الكبير ، « سعد صائب »

- وسعد - ابن الفرات البار عميق الجذور في تربة الفرات الطاهرة كشجر طرفائه ، وأرف الظلال كأرواح غربه الحاني على الضفتين شامخ الذرا كشماريح نخيله الباسقة .

هذا العربي لأسمر ، يستهويك في شمائل نبي ، واطلالة قديس ، وبراءة طفل وشموخ عملاق .

انه دائرة معارف حوت كل طارف وتليد ، وموسوعة تمثلت خلاصة القرائح الفكرية والنتاج البشري .

لازم صناعة الأدب - ولا يزال - أكثر من نصف قرن اذ بدأ ينشر نتاجه في المجلات

السوداء ، ما يعجز عنه المتخصصون .

فكان ما قدمه اسهاماً حضارياً ، سوف يبقى شاهداً حياً على مكانة «سعد» في الريادة وصدق العزيمة وعمق المعرفة وموضوعية النقل . استهواه الشعر العالمي ، فترجمه بعقريّة نادرة وقدرة عجيبة على خلق الجو الشعري واستحضار انفعالاته ، اذ يروعك في بيانه الساحر ووهيج اشراقاته المبدعة ، حتى ليكاد يصدق على ترجماته الشعرية قول المتنبي « ابن جنى أعرف بشعري مني » .

اسهاماته في هذا المجال كثيرة منها على سبيل المثال :

« في رياض الشعر العالمي » - ديوان الشعر السويدي المعاصر - ديوان الشعر الاسباني المعاصر - شعراء من أمريكا الجنوبية - القبس الحي « - شعراء رمزيون وشعراء معاصرون - اللابل العائدة (وهذا الأخير لشعراء عرب كتبوا بلغة فرنسية » .

وسعد في ترجمته يبقى واضح الشخصية، متين العبارة ، بين النبرة شاعري الجرس . وعلى الرغم من كون المترجم - كما يقول الدكتور : خريستو نجم كخبير الالفام يمشي على ارض ملفومة ، وكل خطأ يعرضه للانفجار - غير ان اذينا استطاع ان يجتاز حقل الالفام المزروعة ببراعة نادرة .

مثله الحق والخير والجمال تجسدت هذه المثل عطاء واقعياً في آثاره كلها .

وصوت العروبة واضح النبرة في كل حرف سطرته يده المعطاء قولاً وعملاً اعترف به القاصي والداني .

يؤكد صديقه الدكتور مصطفى البارودي اصالة هذه النزعة فيه اذ يقول في مقدمة كتاب سعد « القبس الحي » « فجو الذي تسري في عروقه دماء أجداده الذين انتقلوا من بطون الصحراء الى ضفاف الفرات ، وهو الذواقّة الذي ما يفتأ يمتع النفس بأينع تراث الفكر في الشرق والغرب وهو الكريم الذي يأبى الا أن يدعو الى هذه المائدة السخية قراء العربية .

هذه النزعة القومية سمة أصيلة فيه رضعها مع لبن الطفولة ، يقول « سعد » وهو يهدي

كتابة « دراسات أدبية » « الى روح والدي علي صائب الذي قال لي ذات يوم : يا بني احب لغتك تحب امتك فامتزج حبهما في قلبي منذ وعيت وجودهما » .

* * *

ولعل موقف « ابي هيثم » من الاذاعة البريطانية يوم دعت له للاسهام في برنامجها الثقافي والاعلامي ، هذا الموقف يفني عن حديث ، حيث جاء في رده الصارم قوله « لقد قضيت من عمري الأدبي خمسين عاماً لم أذع في محطة او أنشر في مجلة اجنبية تنطق بالعربية ، فهل أتيح لهذه الاذاعة التي كان اصحابها الانكليز سبب محتنتنا في فلسطين إغرائي بالحديث فيها ولو ملكتني الملايين ،

كلا وحق عروبتى انا الذي ما خطر بقلبي ساعة ان ارتاح الى الازدواجية عند سواي طوال حياتي فكيف يرتاح اليها ادبي وقد جعلته مثلاً يحتذى لقيمي ومثلي ، ومبادئى لا يجسد عنها « حمل على كاهله قدر أمته ، فكان سفيرها في الكلمة الحرة النابضة بالحياة ، فقد ترجمت مؤلفاته الى معظم اللغات العالمية .

وسعد في ترجماته الرائدة واقتباساته في عالم الأسطورة والقصة ، والشعر ، يصطاد من آفاق الفكر خيراً ما انتجته قرائح المبدعين في أنحاء المعمورة ، ليقدّم كل هذا في صمت قل نظيره ، بعيداً عن الاضواء البهرجة الاعلامية والمعارك المصطنعة بين رجال الادب والفن .

- ألم اقل لكم - سادتي الاكارم - انه خدين الفرات ، هذا النهر العظيم الذي يجري في صمت وسكينة يحمل للارض الخصب والنماء .

وسعد يؤكد الطابع الانساني في نزعتيه القومية متمثلاً قول الفيلسوف الالماني جوتيه « اننا اذا لم نباشر في التطلع حولنا خارج نطاق الحلقة الضيقة المحيطة بنا ، فلا شك بأننا سنصاب بعقم فني » .

ولا ينسى أن لامته العربية خصائصها واذا كان يدعو الى ان تفتح نوافذها لنسائم العالم فهو يؤكد في حديثه عن التجديد انه « لن يتأتى لنا ذلك الا باعتمادنا على أسس صحيحة سليمة تتسم وخصائصنا وترتكز على قيم ومقومات

نابعة من صميمنا ولا سيما أن لكل أمة شكلاً
في الأداء يميزها عن سواها من الأمم ويبدل على
شخصيتها مما يدعوها لأن تعتبر أي ثورة على
هذا الشكل لا تراعي هذه الخصائص ولا تصون
تلك القيم والمقومات نورة زائفة هدامة »

هذا هو فكر سعد - وتلك مبادئه ، يؤكدنا
في كل مناسبة .

جاء في مقدمة كتابه الفريد « لم نمت
الحقيقة » « كنت فيما سطرت أتحري الصدق
في التعبير واتقري الدقة في التصوير فاعكس
واقعا مريراً لا يبرح يجبه فومي بعلة ولا سي
يزحمهم بعيوبه ومشكلاته ذات الخطر » .

وفي الحقيقة فإن كتب « سعد » تحمل
اثارات وتطرح تساؤلات على مختلف الصعد .

يقول الدكتور شكري فيصل رحمه الله -
بعد أن قرأ كتاب « سعد » « الشاعر الشهيد
عمر حمد » :

« أن كتابك يشكل اثارة كاملة :

اثارة تاريخية تهدف الى تعميق المعرفة
الدقيقة لهذه الحقبة والنفوذ الى ما وراء الذين
عرفونا من احداثها وامتحان ما بين ايدينا من
مصادرها والوصول الى ما هو أبعد من هذه
المصادر القريبة . واثارة قومية تهدف الى تعميق
الصلة برجالنا وحركاتنا وشهدائنا .

واثارة أدبية تهدف الى وضع تراثنا الأدبي
في هذه الفترة موضع الدراسة » .

وسعد هو الناقد المنصف الذي لا يملئ
رأيه على القارئ ولا تلزمه الآراء المسبقة .

أن آراء سعد في النقد ترسم معالم شخصيته
وتحدد مواقفه .

أراد لنا أن نأخذ عن الآخرين وبين أن
« خير ما في الأخذ عن الآخرين ما يبعث على التجديد
والنماء وما يثير الإنفعال لروعته وجماله وعمقه
وما يشحذ التجربة ويخدم أغراض الحياة ويسهم
في دعم قيمها » .

هذا هو « سعد » الأديب الإنسان . أحب
الأدب الشائر وأعجب بدعائه وآمن مع الشاعر
الانكولي « نيتو » بأن رسالة الأدب « أن يحيل
الرغبة الى قوة فعالة وذلك عن طريق الكشف
والتوعية ، ويحيل الساكن الى متحرك والمهزوم
الى مناضل والعبد الى سيد ، والمحروم الى
مطالب بحقه ولو بالقوة » .

لم أستطيع في هذه العجالة أن أقف
الا على حدود عبقرية سعد صائب وأرجو أن
أكون في تقديمي هذا قد طبعت قبلة على جبين
أديبنا الفذ في موقف اجلال واكبار .

وشكراً

فاضل سفان

أبي صديقي للهووب الكبير سعد صائب أنور الجندي

يا صديقي ، وأنت أنت الصديق ... وأغانيك كلهن رحيق ...
وليالك كلهن سهاد ... وأمانيك كلهن ... عقوق ...
وأنا أنت ، في المهوم سواء ... عمرنا غربة ، وهم عميق ...
ولنحن الأباة ، نقطر لحناً ... عبقرياً ، فيستفيق الشروق ...
ونغني ، وفي القلوب لهيب ... ونغني ، وفي الصدور شهيق ...
يقتل الشاعر الأبي هواناً ... يا صديقي ، ويهنأ الزنديق ...
ولك اليوم ، أمنيات محب ... شاقه الحرف ، والمحب مشوق ...

الأربعاء ٤ / ١١ / ١٩٧٨

سعد صائب... للإنسان

عبدالمعطي الملوحي

في حفلة تكريم أخيه سعد صائب

العامّة ، والمسائل ذات الشمول الإنساني، هذا فضلاً عن القضايا الفكرية التي تشغل بال العصر وتهتم بتربية الأجيال ، وتعنى بالعلاقة بين الفرد وبيئته .

ثالثاً : ثمرات المطابع :

يختص هذا البرنامج بمراجعة الكتب الحديثة الصدور (في حدود أربعة أشهر سابقة على اذاعة الحديث) وقد تكون صادرة بالعربية أو الانكليزية ولا يكون موضوعها سياسياً (لأن في القسم العربي برنامجاً آخر لعرض الكتب السياسية ومراجعتها) .

ويستحسن بطبيعة الحال أن يكون مضمونها مشوقاً للمستمع العربي ، ملبياً بعض حاجته إلى التعرف على الجديد .

وتبلغ مدة كل من هذه الأحاديث عشر دقائق (شاملة مقدمة الحديث والتعريف بكتابه، فضلاً عن خاتمته) ولذا يلزم أن يتراوح عدد كلمات الحديث بين تسعمئة وألف كلمة حتى يناسب الفترة المحددة له .

فاذا رغبتم في الإسهام بحديث أو أكثر في هذه البرامج ، فأرجوكم التكرم بموافاتنا ببعض أفكاركم واقتراحاتكم ، حتى يتسنى لنا هنا تحقيق التوازن المطلوب بين مواد البث الاذاعي ، وإعداد خطة عامة نستفيد فيها من مختلف المشاركات الثقافية .

مع تمنياتي بالتوفيق .

السلام عليكم ورحمة الله

أبدأ بالحديث عن سعد صائب - الإنسان بقراءة رسالة هيئة الإذاعة البريطانية إليه :

القسم العربي

هيئة الإذاعة البريطانية

لندن - انكلترا

١٩٨٥/٨/٩

الاستاذ سعد صائب المحترم :

دمشق

تحية طيبة وبعد ...

يسعد القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية أن تساهموا بقلمكم في أحاديثه الثقافية والأدبية، وهي ثلاثة برامج أسبوعية ييانها كما يلي :

أولاً : عالم الأدب :

يعالج هذا البرنامج قضايا الأدب والنقد الأدبي ، وتتاح فيه الفرصة للنقاد للإعراب عن رأيهم في مسائل أدبية عامة ، أو لنقد أعمال أديب بذاته أو حركة أدبية محددة . ويتسع المجال هنا لبحث وتحليل مختلف نواحي الإبداع الأدبي ، كما يتسع أيضاً لإذاعة مختارات شعرية لم يسبق نشرها أو اذاعتها .

ثانياً الحديث الثقافي :

يهتم هذا البرنامج بالقضايا الثقافية (والحضارية)

نبيل حلمي اسكندر

المشرف على البرامج العامة والأحاديث الثقافية

وهذا جواب سعد على رسالة هيئة
الإذاعة البريطانية :

دمشق في ٤/٩/١٩٨٥

السيد الأستاذ نبيل اسكندر :

المشرف على البرامج العامة والأحاديث
الثقافية (القسم العربي - هيئة الإذاعة
البريطانية)

تحية طيبة وبعد :

إشارة الى كتابكم المؤرخ في ٩/٨/١٩٨٥
المتضمن دعوتي للإسهام في أحاديث (القسم
العربي) الثقافية والأدبية ، أوضح لكم مايلي :

لقد قضيت من عمري الأدبي خمسين عاماً ،
لم أذع في محطة أو أنشر في مجلة أجنبية تنطق
بالعربية ، فهل أتيح لهذه الإذاعة - التي كان
أصحابها الانكليز - سبب محنتنا في فلسطين ،
اغرائي بالحديث فيها ولو ملكتني الملايين ؟

كلا... وحق عروبتى !

أنا الذي ما خطر بقلبي ساعة أن أرتاح
إلى الازدواجية عند سواي طوال حياتي ، فكيف
يرتاح إليها أدبي وقد جعلته مثلاً يحتذى لقيمي
ومبادئي لا يحيد عنها ؟

ختاماً ، أرجو قبول عذري مع صادق تحيتي !

سعد صائب

هذا جانب مضيء من مواقف سعد صائب
القومية ، إنه لم ينس بعد سنين عديدة وعقود
مديدة ما فعلته بريطانيا بالعرب وبفلسطين .

وهكذا يبدو لنا سعد قومياً عربياً نبيلاً
في هذا الموقف إضافة الى مواقفه القومية
الكثيرة في دفاعه عن اللغة العربية الفصحى
وعن الأدب الأصيل ، نحن الذين نشهد وأسفاه
أكواماً من أدباء العرب وشعرائهم يقفون على
أبواب الإذاعة البريطانية ليذيعوا فيها أحاديثهم
وينشدوا فيها قصائدهم لقاء دربهات معدودات .
تلك هي الصفة الأولى في سعد الإنسان
المحت بها إلاماً ونقلتها في اختصار شديد .

فما هي الصفة الثانية ؟

أنتم يا أبناء الفرات أدركتم ما بقي من
نهر الفرات قبل أن يذله السد ويخضعه ، أدركتموه
كما كان يوم قال فيه النابغة الذبياني :
(الديوان ٢٢ - ٢٣ - ٢٤)

فما الفرات إذا جاشت غواربه
ترمي أوأذيه العبرين بالزبد
يمده كل واد مترع لجب
فيه حطام من الينبوت والخضد
يظل من خوفه الملاح معتصماً
بالخيزرانة بعد الأين والنجد
يوماً بأجود منه سيب نافلة
ولا يحول عطاء اليوم دون غد
وأرجو أن يعذرني النابغة إذا نقلت بيته
الرابع من مدح النعمان بن المنذر بالكرم إلى
تسجيل سجية سعد صائب بالإباء فأقول :

يوماً بآنف من سعد وعزته

ولا يحول ابا اليوم دون غد

هذا سعد في خلقه الثاني ، خلق الإباء
على الضيم والعنف في الحق ، لقد شرب ماء
الفرات ، واستحال هذا الماء الطيب إلى دم
أبي شريف ، فأنت ترى فيه صورة هذا النهر .
وقد جاشت أمواجه فعمرت الضفتين بالماء والزبد
وسالت الأودية من حوله تحطم الأشجار واعتصم
فيه الملاح بسكان السفينة وهو مرهق يكاد يغلب
على أمره .

أنا أعرف يا أخي سعد أن خلقك الأبوي
هذا كلفك الكثير الكثير وأنت تعيش بسبب
من هذا الإباء عيشة تقتير ، ولكنك كتبت بابائك
وكبريائك وشمك اسمك بأحرف من نور .

وما نفع الإنسان إن كسب الدنيا وأضاع
شرفه ؟ وما جدوى الكلمة إن خست نظافتها
وربحت العالم ؟ وسعد في خلقه الثالث بعد
الوطنية والإباء إنسان وفي . تستطيع أن تعتمد
على وفائه وإخلاصه كما تعتمد على شجرة سديان
تسند إليها ظهرك .

فهي ثابتة لا تتزعزع . وأنت تجد في
سعد في كل أحوالك وأحواله الأخ الصادق الوفي
الذي لا يتزعزع . ما أزال أذكر يوم سافرت
إلى الصين وودعني في المطار فاذا هو يبكي حزناً
على فراقني أكثر مما يبكي أهلي ، وما أزال أذكر
يوم عدت من الصين مشلولاً أشبه بميت ، أنه
بكى بدموع غزيرة أكثر مما يبكي أهلي . كنا
ثلاثة : أنا وسعد واخوتنا المرحوم علي خلقي .

كنت أنا وسعد نسبق علياً إلى مجلسنا الصباحي
في حديقة السبكي ، نمد عيوننا إلى باب الحديقة
الشمالي ننتظر اطلالة علي علينا كما ينتظر

المحب اطلالة الحبيب . ومات علي منذ سنين ،
وما أزال أشعر أن سعداً ما يزال ينتظر علياً ،
ما يزال يمد عنقه وعينه إلى باب الحديقة
الشمالي يترقب اطلالة علي وهيهات هيهات
ياأبا هيثم .

أقول لك سرّاً أرجو ألا يطعمك بي بعد
اليوم . لقد كنت أوفر حظاً من أبي تمام حين
بحثت عن صديق فوجدته فيك وحين بحث أبو
تمام عن مثل هذا الصديق فلم يجده فقال :

من لي بانسان إذا أغضبتَه
وجملت كان الحلم رد جوابه
وإذا طربت إلى المدام شربت من
أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بقلبه
وبسمعه ولعله أدري به

لقد تمنى أبو تمام مثل هذا الصديق وعاد
خائباً أما أنا فقد وجدت فيك هذا الصديق ،
فأنا به قرير العين :

أنا أغضبك أحياناً وأجهل عليك أحياناً .
وأنت تحلم عني وتسامحني ، وأنا أشرب من
أخلاقك ، وأسكر من آدابك ، وأنا إذا حدثتك
أصغيت إلي بقلبك وسمعت وربما كنت أعلم
بحديثي مني ،

فأنا سعيد بك . غني بصدقتك .

وتسألونني :

أأنت في كل مبادئك ومواقفك ومشاعرك
توافق أخاك سعداً ؟ ويوافقك أخوك سعد ؟
وأقول لكم في صراحة :

– قومي عربي

– إنسان أبي

– صديق وفي

يا أخي يا أبا الهيثم :

طالما أغضبتك وجهت عليك ، ولعلي في
هذه الكلمة الصادقة عنك كل الصدق ، أرضيك
بعض الرضا ، هذه الكلمة التي ألقبها في دير
الزور بلدك المنجاب – بلد أستاذنا الفراتي •
وعلى ضفاف نهرك المبارك ، نهر الفرات •

فسلام عليك وعلى بلدك وعلى الفراتي
وعلى الفرات • والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

دمشق – دير الزور ٥ / ١١ / ١٩٨٧

عبد المعين الملوحي

طالما تخالفنا وتعارضنا وتنازعنا في قضايا
كثيرة : منها القضايا القومية والأدبية والشخصية
ولكن صداقتنا كانت تزداد توثيقاً وقوة بعد كل
خلاف ، ألم يقل شوقي : (مجنون ليلي ص ٩)

ما الذي أضحك مني الظبيات العامرية ؟
الآنني أفا شيعي ويليلى أموية ؟

اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية !

لقد اختلفنا في كثير من الأمور ولكننا اتفقنا
على أمر واحد هو أن نبقى صديقين :

ألم يكن الطرماح بن حكيم ، شاعر
الخوارج ، والكميت بن زيد ، شاعر الشيعة
صديقين حميمين ؟ !

هذا سعد في صفاته الكبرى كانسان :



سعد صائب والطير

حسين حموي

مقدمة :

صقر ونسر وباز ، جمعهم دوحة الادب والابداع على ربا قاسيون .

الصقر نهض من رياض ديك الجن الحمصي يحمل سيف خالد بن الوليد وما زال يحمل هذا السيف في شعره ونثره انه الاديب الكبير عبد المعين الموحى والباز نهض من ثرى قاسيون يحمل راية مروان ، داهمته السنون فانساق مطواعا للقاء وجه ربه انه الاديب الكبير علي خلقي والنسر ضرب بجناحيه رمال الصحراء محلقا في الاجواء باتجاه قاسيون وهو الاديب الكبير سعد صائب الذي نحن نجتمع اليوم لتكريمه مازال يبحث الخطا باتجاه المجد ، بقلم نظيف لم يصدأ ولم تثلم كانوا ثلاثة ، عبد المعين الموحى وعلي خلقي وسعد صائب ، اينما بحثت عن واحد منهم وجدته مع اخويه ، يجمعهم قاسم مشترك واحد هو حب الوطن والانسان ويوحد بينهم هدف واحد مشترك هو الارتقاء بالثقافة والادب والابداع الى المستوى اللائق بين الامم الاثنان بكيا صديقهما الباز وقد اختطفته اظافر المنية

ذات يوم ، وشهدت بكاءهما على رحيل صاحبهما في دمشق ومازال الصقر والنسر يفردان جناحيهما في سماء دمشق ، يحطان معا في دار الثقافة عند صديقهما وصديق الأدباء على اختلاف مشاربهم الأستاذ مدحة عكاش أمد الله في عمرهما ولا أعرف ماذا يقال عن نسر الفرات في يوم تكريمه ؟

أيها الأخوة الحضور :

لعني اقول :

عندما تلوح ملكة الضياء بيديها من وراء الأفق البعيد ، أو تطل من نافذتها المظلة على البحر الرحيب ، يكون نسر الفرات قد اشتعل قنديله وراح يصب في اوردة تلك الأوراق البيضاء شيئا من دمه الصافي .

هكذا هو دائما في كل آن ، وفي كل مكان ، فراشة تسبق خيوط الضياء الى تلك الضفاف ،

ونحلة لا تعرف الكلل أو الملل ، وهي تنقل من حقل الى حقل ، ومن زهرة الى زهرة . ونسر لا يسكن الاعالي القمم . يفرد جناحيه على السفوح في الوقت الذي يشاء ، ويضرب بهما الجزاء كلما زاده الحنين والشوق للاقتراب من الشمس وذرا المجد العليا هو يكره الأضواء المزيفة ، والأماكن العابقة بالضجيج ، لانه من عشاق الحرية ودعاتها .

يمسك ريشته عندما تبدأ شرايين الحياة وأوردتها بالنبض الانساني ، ويقلب صفحاتها عندما تبتسم ذوائب الشجر لعناق اول موجة ضياء تحمل على أكفها انسام الدفء الصباحي . يتبادل مع مفردات الطبيعة والحياة والثقافة العالمية النظرات والتحية . ثم يسبر أغوار تلك المفردات . وينقب في معانيها ومدلولاتها كاشفاً عن الحسن منها ، والأعلى ما يصلح لحياتنا وأجيالنا ، ناهياً عن كل ما يسيء الى حضارتنا وثقافتنا .

يبدأ رحلته كل يوم قبل أن تصافح الأشعة اللاز وردية سطوح الأشياء التي تصل اليها ذراع الشمس ، لتوقظها ، وتبدأ مسيرتها الحياتية المعتادة .

قبل أن تبدأ تلك الأفنان رقصاتها الفجرية على أنغام الريح ، وقبل أن تعانق أول جديلة من جدائل تلك الحورية الخارجية من المحيطات الى أبعد الفيافي . وشرفات المنازل العالية ، قبل أن تفتح تلك العيون الغافية الحاملة بصباح جميل له نكهة القرنفل والياسمين ، يرف ذلك الطائر بجناحيه في عشه الطري الناعم ، يفرد كبلبل ، ويصوت مثل كنار ، ويهوى على ضالته كنسر قبل أن ينتقل العالم أو نصفه على الأقل من رحلة السكون الى مرحلة الصيرورة والحركة ، وقبل أن تبدأ العصافير مهرجاناتها الصباحي ، مفردة على شكل أسراب وجماعات منتظمة من هذه الشجرة الى تلك ، تنشيد نشيدها الوطني الصباحي احتفالاً بقدوم ملكة الضياء ووصولها في أول هودج من قافلة الصباح قبل أن يهرع الناس الى أعمالهم وتبدأ عجلات الحياة دورتها المنتظمة في مدار الكينونة والصيرورة ، يكون نسر الفرات فأرداً أوراقه وجناحيه على صخرة من صخور حضارة ماري الشاهقة ، يجول ببصره وبصيرته في رحاب تلك الأزمنة الممتدة على امتداد الرؤيا ، يتقرى تلك الآثار العظيمة التي أودعها في اعناقنا الاجداد وينقب في صفحات ذلك الماضي البعيد ، ينخل التراث ، فيشير الى كل مآثرة

أو فضيلة أو ملحمة جسدت تصميم الانسان العربي في أن يصنع حضارته بارادته وحديثه ، محاولاً بذلك ربط الماضي بالحاضر ، والمستقبل ليحقق عملية التواصل بين الأجيال ، ويجعل من الثقافة بين الشعوب منهجاً لكل الشعوب التي تتطلع الى بناء مستقبل أرحب لأجيالها القادمة .

انه سعد صائب نسر الفرات الذي ما برح يرف بجناحيه على أفنان القوطة ، وعلى ضفاف الفرات ، وفي كل أرض يعشقها ويعشق التحليق بجناحيه في قضائها ، انه سعد صائب الذي لا يحب القيود ، ولا يالف الا الطيران الحر ، ولا يقبل عن الحرية بديلاً ، فالحرية عنده كالفضيلة فطرة وطبيعة وعقيدة . والأحرار في نظره هم وحدهم الذين يعيشون الحرية بكل أبعادها يقول نسر الفرات في إحدى المقابلات الصحفية التي أجريت معه جواباً عن سؤال حول رأيه في الحرية : « ان مفهوم الحرية لدي هي أن تكون كالفضيلة فطرة وطبيعة ، وعقيدة ، تحمل طابعنا وشخصيتنا وتصون كرامتنا - نحياتها - ونؤمن بها كضرورة ، نواجه بها ، لا مشاكلنا الخاصة فحسب ، بل مشاكل العصر الذي ندور في فلكه ، وبقدر ماتحمل من قيمة ، بقدر ما تنعكس على التحولات التي تطرأ على بنيتنا الاجتماعية ، فتزيد من سعادة مجتمعنا ، وتدعم مزاياه ، وتنمي نظامه الخلفي الذي يسير على نهجه ، وبذلك يبدع حقيقته التي يعيشها متفاعلاً فيها من نحو ويقول الحقيقة التي يحسها ويجربها بارادته من نحو آخر ، فهي أذن تعلمه وتهديه وتبهجه في آن معاً وفي هذه الحال فهي توافق الالتزام الأيديولوجي والواجب ولا تعارضها . لأنها قدر ذاتي ارادي لكل مواطن ، ولعل خطورة الظروف التي تمر بها امتنا تحتم عليها أن يكون أفرادها أحراراً ، كيما يتاح لهم أن يتحرروا من النظام الاجتماعي المتخلف الذي يخنق قواهم ويعطل طاقاتهم ويهدر امكاناتهم . وأن تتحرر من التجزئة المصطنعة التي قطعت أوصال الجسم الواحد ، وتتحرر من كل العوائق الرجعية التي تحد العقل ، وتمنعه من التجدد والابداع ، وتغل المجتمع بقيود العادات والتقاليد البالية التي لم تتجاوب مع الحياة .

أما ما يتصل بحريته الذاتية فيقول : أنا أكتب ما تمليه علي هذه الحرية ، وأحس أنني فيما أكتب أوجه كتابي الى مواطنين متحررين انسجم معهم وأحيا ما يعانون من مشاكل لذا ترى حياتي متطابقة اشد التطابق مع افكاري «

والاخلاقية الرفيعة. ومن يرجع الى تلك النداءات التي تتجاوز الخمسين نداء ، يتلمس الروح الصادقة والرؤيا الحركية الثورية التي يتمتع بها هذا الكاتب الذي نضجت تجربته الأدبية والسياسية فأصبحت كلماته ومختراته من الاداب العالمية تزخر بالحكمة والالتزام والثورة . اسمحوا لي أن أنقل مقطعاً قصيراً من تلك المقتطفات الكثيرة التي يحث فيها الاستاذ سعد صائب المثقفين الثوريين لكي يأخذوا مواقعهم الحقيقية في عملية التغيير والتطور الاجتماعي يقول الكاتب في أحد النداءات « الطبيعة المثقفة يجب أن تعي ذاتها ودورها في العالم ، لا تتصرف تلقائياً أو اندفاعاً في تيار ، وإنما عن فعل وإرادة وعن ادراك بأنها هي المسؤولة في النهاية عن مستقبل الانسان في الارض . وربما فيما وراء الأرض . . وهي اذ تقبل على ذلك وتقوم به انما تستقي اجر وجودها ، وتؤكد سمو وظيفتها . . اذ لا منجى للنخبة من أن تكون قدوة في الحياة للسمو بالحياة ، وهل ثمة أقرب اليها منها ، فاذا لم تسم بها فمن يسم بها ؟ انها العالمة بالامور المدركة أحوال الناس القادرة على دفع الشر عن نفسها وعنهم ، انها في النهاية الحكمة بعينها لأنها تلخص الحياة التي تحياها وتختزلها في قانون يهدي الحياة وينير طريقها ، هذه الطريق التي يسلكها من رام سعادة وابتغى انتصار سلطان العقل »

هكذا توهج الحكمة والعقلانية والثورية في ثنايا كلمات أديبنا الكبير سعد صائب ، وهكذا اختار لنفسه هذا الرهب المتهدج في محراب الأدب أن يفني جسده وعمره من أجل انتصار الكلمة الموقف وانتصار الحقيقة والحق على الباطل والشر مهما امتلكا من اسباب القوة في هذا الزمن الصعب الذي أصبح فيه المالك المدافع عن الحقيقة كالبابض على جمرة من نار ، لم يداهن أحداً في رأي هو مناقض له ، ولم يصانع في موقف لم يكن له فيه اختيار واضح ، ولم يقبل على الموائد أو يقف على أبواب صانعيها طالباً حاجة أو راجياً فائدة ، وإنما اعتكف في صومعته على أدبه وترجماته ، يؤلف ويبدع ويترجم الى أن قاربت أن تصل مؤلفاته ومخطوطاته الى رقم خيالي يقترب من / ١٥٠ / مؤلفاً بين كتاب مطبوع ومخطوط . تتوضح بين سطور تلك المؤلفات شخصية هذا الأديب المتفاني في خدمة الأدب والثقافة بعيداً عن كل الأضواء والمحافل التي يكثر فيها الصراخ والضجيج يبقى ان نقول ان ماقدمه الاستاذ سعد صائب الى المكتبة العربية

من هذا المنطق يعد نسر الفرات (الأديب سعد صائب) نموذجاً للكاتب الذي كرس حياته للدعوة الى حرية قومه والدفاع عنها . وخير شاهد على ذلك الظاهرة التي تميز بها أديبنا الكبير نسر الفرات سعد صائب عن أقرانه وأهل زمانه ماقاله الشاعر شفيق جبيري في مقدمة كتاب (ذوب الروح) : « اني لا أستطيع ان أختم هذه المقدمة دون أن أعرب عن اعجابي بأدب الأستاذ سعد صائب ولست أريد بالادب زخارف البلاغة وإنما أريد به استخدام صاحبه اياه في التنبيه عن كل باطل ، وتقويم كل اعوجاج ، والتغني بكل حرية ، وما نظن أن الأديب خلق لغير هذه الأمور وامثالها ، خلق الأدب ليكون سيداً ، ولم يخلق ليكون عبداً والأستاذ سعد صائب في مقدمة الادباء الذين يمثلون الأدب السيد ان الحرية التي يؤمن بها ويدعو اليها سعد صائب حرية شاملة لا يحد آفاقها أي نوع من أنواع القسر والاضطهاد . انها حرية ملتزمة تنطوي على التحرر الكامل من جميع أنواع الاستغلال والاستعباد ، وتنطوي في الوقت ذاته على تفجر كافة الطاقات والامكانيات المدعة في الانسان كي يعطى ويبدع وينتج ويضيف أشياء جديدة على ما خلقه له السلف ، بمعنى أن يكون فاعلاً مؤثراً في حركة الحياة والمجتمع ، قادراً على التغيير والفعل في بنية المجتمع والنهوض به من حالة السكون الى حالة الحركة ومن حالة التقليد الأعمى أو المراوحة في محارِب العادات والتقاليد لكل ما هو معيق ومشبث لعملية النهوض الحضاري السائدة الى آفاق التجديد والتغيير والرفض التي ينشدها أديبنا الكبير سعد صائب الذي خبرته الحياة وخبرها جيداً فأصبح يمتلك من الحكمة ما يؤهله لأن يكون رائداً من رواد تأصيل الثقافة العربية الحققة على أسس موضوعية علمية تحافظ من خلالها على هويتها وخصوصيتها القومية ، وتفتح نوافذها على الثقافات الأخرى تتفاعل معها . تأخذ منها وتعطيها ، تفتني منها وتغنيها بما لا يسمح لآية ثقافة مهما بلغت من القوة أن تمحو معالم تلك الحضارة العربية والثقافة القومية .

ان المتتبع لما كتبه الاستاذ سعد صائب ونشره تحت عنوان (نداء الى المثقفين الثوريين) الذي يتوجه فيه الى الطبيعة المثقفة ، وقد ضمن تلك النداءات أفكاره وتجربته في الحياة ، يدرك غنى التجربة والأرضية الفكرية التي يستند اليها هذا الأديب الكبير ، ويتلمس في الوقت ذاته حرصه على أن يأخذ المثقفون الثوريون دورهم في تربية الأجيال وتنشئتهم التنشئة الوطنية

الكبير سعد صائب هنيئاً لهم بكل الأبناء البررة
الذين يسيرون في قافلة الفراتي وسعد صائب
وكل المخلصين الطيبين في هذه الأرض الطيبة
ذات الامتداد الحضاري الغابر ، والتاريخ
الثقافي المجيد وهنيئاً لكل الأعلام النظيفة ،
والأعلام الشريفة التي أضاءت دروب الظلمة
للأجيال القادمة بعدها بكل الحب والاخلاص
والتفاني / والسلام عليكم

من مؤلفات يحتاج الى دراسات معمقة تدرج
تحت دراسات متخصصة تتناول فلسفة هذا
الكاتب وكلمته ومفهومه للثقافة وللحياة ، والمعاني
العميقة لترجماته المتعددة التي نقلها بلغة
مشذبة سلسلة عذبة الى لغتنا العربية، وتأخذ كل
جانب من تلك الجوانب بالبحث والدراسة .

هنيئاً لأبناء الفرات بابنهم الكاتب والاديب

سعادة الأخ الأديب سعد صائب المكرم :

تحية اكرام لك ولمكرميك في «الدير»
وفي كل ديار ..

ومعذرة لابراقي العابر بنية الاشراف ..

أربعمائة وألف .. الموافق ٣ / ١١ / ١٩٨٧ ..
ريسعدني أن أبث إليكم هذا النبأ صحبة
الأخ الأديب الشاعر ، صاحب «الثقافة» ،
اسبوعياً وشهرياً .. الأستاذ مدحة عكاش ..
ليكون نزعاً من المشاركة مع مكرميك الأكارم ..
أكرمك الله وأكرمهم ..

فكل عام وانتم بخير

ومبروك «لاتحاد المؤلفين باللغة العربية في
العالم» : عضويتكم التي انتدبوكم لها ، فهي
ستكون مزية له ، لانكم مزية فائقة الاجتهاد
في جميع ثقافات العالم بهذا الحرف العربي
العزير ..

وتحية للمركز الثقافي العربي في دير الزور ..
وللأدباء المشاركين في حفل تكريمكم ..

وأكرر معذرتي لابراقي ..

وأرجو اعتبار نية الاشراف : للتحدث عن
مزاياك الأدبية وعالمية تطلعاتك الى ما يتلألا في
تألفات الكشف : لدن موهوبي الشعوب ، لتضعها
في خدمة أبناء شعبك ..

أظني في مقدمة «ديوان الشعر السويدي»
عرفتك واحداً من الذائقين الصادقين الأحرار
... وسأعرف بمعرفتي في مناسبات أخرى ،
ان شاء الله ...

التقيك بعد العودة الى دمشق ، وفي مؤتمر
اقبال ، واحياء ذكراه العاشرة بعد المئة ، في مثل
يومي تكريمك «الأربعاء والخميس» .. القادمين ..

أطال الله عمرك وعمر عطائك النافع لأجيال
الإنسان ، والسلام عليكم أجمعين .

اسعد احمد علي

أمين «الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية»

منذ أخبرتني .. وأنا أجاهد الجهات :
لاكون بين هؤلاء الاحبة الأكارم ، الذين يشاركون
بحفل المركز الثقافي العربي في «دير الزور» ..
ولكنه : «الحظ العظيم» من الصقور شديدة
المحال ، ولا يقارب محظوظا الا وفق مقتضى
الحال ..

واقترضت حالي : أن ابرق لك اتجاهاً
شرقياً الى «دير الزور» .. وأن افكر من أجلك
اتجاهاً غربياً الى العاصمة الأوروبية - باريس
واعذرني لتحديد الجهات ، اعتبارياً .. وتقبل
ما أنقله اليك :

أنقل اليك بهذه «البرقية الشرقية» ما
أفدناه من الاتصال الغربي ، فقد نظر الاتحاد
العالمي للمؤلفين باللغة العربية بما عرفتهم به من
مؤلفاتك التي تجاوزت منتصف المئة الثانية ،
صاعدة نحو المئتين .. وبالأخص : المترجمات ..

وهذا «الاتحاد العالمي ..» ، يعتبر
اعضاءه ، اما من العرب الذين اغتربوا وخدموا
العربية في بلدان الاغتراب .. واما من غير العرب
الذين استعربوا وخدموا اللغة الشريفة العربية
في أوطان استعراهم ..

ولما كنت حالة نادرة : ممن نقلوا الى العربية
عديداً من الآثار العالمية ، فقد اعتبروك عضو
شرف في هذا الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة
العربية ، الذي تأسس في باريس ، سنة ١٩٨٠
بغاية «جمع شمل المفكرين العالميين باللغة العربية»
كما حدد هذه الغاية رئيس الدراسات العربية
والشرقية في جامعة ستراسبورغ ، الدكتور
توفيق فهد .. في احدي رسائله ..

وقد جاء في هذا «الاعتبار» ، عشية
احتفالنا بذكرى المولد النبوي الشريف ، في
دمشق ، قلب الحياة العربية الحي .. الثلاثاء :
الثاني عشر من ربيع الأول ، السنة الثامنة بعد

دموع الفرح تعانق الأديب الكبير سعد صائب في حفل تكريمه

مهدي عبد القادر

– أولى تلك الهدايا كانت ، اصدار عدد خاص عن حفل التكريم .

– وثانيهما ، طاعه مخطوطة جديدة للأديب سعد صائب لم تنشر من قبل . وبمعدل ألفي نسخة ، نصفها للأديب ، ونصفها الآخر لجمهور دير الزور ، وقاء من الأديب مدحة وتقديرًا منه لأبناء الفرات . .

– وثالثها ، وأجملها ، تلك الهدية التي اججت عواطف الحضور ، وجعلت دموع الفرح تنساب على وجنتي الأديب سعد ، وزميله مدحة ، الذي أهداه أغلى قبة سيظل حينها منقوشاً على جدار ذاكرة محبي الادب .

– تلك هي الأسمية الرائعة التي عشناها على مدى يومين متتالين والتي طبعت بصماتها على سور الأدب المتين – الأدب الملتزم ، الشامخ كذكرى الحرمون وجبل الشيخ وقاسيون ، والذي تمثل في عطاءات الأديب العربي الكبير – سعد صائب – الذي قدم عبر ترجماته عن الفرنسية ، أفكاره الفزيرة ، ينبوعاً أدبياً ثراً ستذكره الأجيال العربية طويلاً .

● مرحى لمن كرم سعد :

مرحى للمسؤولين في المركز الثقافي العربي بدير الزور ، ولجمهور الدير الوفي الذي كرم أدبية ، ومرحى لكل الأدباء الذين أتوا للمشاركة ، وخاصة من تكبدوا عناء السفر من بعيد ، وكلنا أمل في أن تحذو جميع محافظات القطر الأخرى ، حذو دير الزور ، لأن تكريم الأديب حياً ، يعني تكريم الانسان والحضارة ، تكريم الأدب الذي هو قائد الأمة وباني صرح مستقبلها العظيم . ومرحى عميقة للأديب سعد في كلمته الرائعة التي أبكت الحضور دمعاً وابكته مثل ذلك ..

مهدي عبد القادر – دير الزور –

● للمرة الأولى في تاريخ مدينة دير الزور ، يكرم أدب فراتي أثناء حياته تكريماً لايقا يحضره أدباء معروفون من القطر . فبعد تكريم الشاعر الكبير – محمد الفراتي – بعد رحيله ، يكرم الأديب – سعد صائب – بمناسبة مرور خمسين عاماً على عطاءاته الأدبية الثرة ، والذي تجاوزت كتبه ضعف عمره البالغ سبعين عاماً .

– بالأمس . وبحضور جماهير غفيرة من أبناء محافظة دير الزور ، وعلى رأسهم السيد المحافظ – نديم عكاش – ونلة من أدباء القطر ، كان في مقدمتهم الأديب السوري المعروف صاحب ورئيس تحرير مجلة الثقافة الأسبوعية الفراء – الشاعر – مدحة عكاش – بدأت المظاهرة الاحتفالية باشادة الادباء من خلال كلماتهم التي أقيمت – حضورياً ، أو نيابة عن بعضهم الذين لم يتمكنوا من المجيء لأسباب قاهرة – بالأثار الأدبية الجمة للأديب سعد صائب ، والتي ستساهم في تنوير الفكر العربي للأجيال النابتة ، – بالأمس ، سمعنا أصواتاً محلية ، أظهرت براعتها فاضل سفان – جمال علوش ، محمد عبد الحدو ، في تبيان مناقب الأديب وأعماله ، كالشعراء – إضافة الى الأدباء الضيوف ، الأستاذ ، مدحة عكاش ، عبد الفني الططري ، بديع حقي ، عبد المعين ملوحي ، د. أسعد علي والكاتب جمال عبود ، ابراهيم كيلاني ، حسين حموي ، عبد المجيد التجار . كل هذه الأسماء ، أجادت وأفادت بما قدمته من لمحات عن حياة أديبنا وفكره .

● دراما متاجعة :

فجرها الأستاذ – مدحة عكاش – عندما ارتجل كلمته في المسرح بكل جرأة ولباقة أدبية ، ألهمت مشاعر الحضور ، وأثارت عاصفة من التصفيق ، حياً واعجاباً لما قدم به صديق عمره الأديب صائب ، حينما خاطبه بروح الصداقة الأخوية ، وقدم له ثلاث هدايا ، تعتبر لفته كريمة من أديبنا ، ووساماً رفيعاً لاثمن له ..

تحية

بقلم : جواد المرابط

فيها الفرات العذب ، كأهلها فيها
بالروعة حاضر فيها وماضيها
فهي التي تكرم (سعدها) تها
ببلاغة القول في تساميتها
تكرمه معكم ، في نواديتها

لؤلؤة الصحراء ، جل باريها
تشعشع دوماً في تغانيها
فيها العروبة قد حقت أمانها
(صائب) الأفكار في معانيها
دمشق تحييكم وأهلها فيها(٢)

عن طريق الدعوة للاستمتاع بالحياة بارضاء
الأهواء والشهوات . كل ما قرأناه له ، فيه
تشويق لحب الجمال ، والبحث على الطموح ،
وعلو الهمة ، وما يحرك القلوب ، لازالة بؤس
البائسين ، ولحبة الوطن . انه : اديب الكريم
من الغايات .

نجد في مؤلفاته ما يزين للقارئ العطاء للمشاركة
الوجدانية ،

نجد بين كتبه ترتوي النفس بالبهجة من
الحياة ،

نجد بين ماخطه قلمه مايجب صفاء النفس
ورقة المعشر ،

ونجد أيضاً فيما ترجمه ما ينير العقول من
مختارات ما قرأتها حتى وجدت نفسي أقول :
حياك الله ياسعد !

وتأكدوا اني لم اعطه فوق حقه . لاننا
في أمس الحاجة لأصحاب قلم نابهن نشطين وهم
في انفسهم قدوة بأخلاقهم وسيرتهم . لذلك كان
أكثر مانجده بصحبته من هم على شاكلته من
أدباء أصحاب اخلاق رضية وعقول مفكرة .

وان من صفاته انه ذو عقلية هادئة متزنة ،
ومزاج يؤثر الاعتدال ، وهو ما يفرض الثقة
والاحترام .

من حق المواطن الذي ينفخ في مواطنيه روح
التسامي ويكون ذا شخصية المعية ، ويمتاز
بجهاده الأدبي ، وهو انموذج بأخلاقه ، من
حقه ان يكرم ، لانه في الواقع يكون اهلاً للتكريم ،
ولم يخلق التكريم .

فاذا كانت لؤلؤة الصحراء ، وهي التي
نبغ فيها شعراء كبار ، وفقهاء المعيون ، وأدباء
نوابغ ، اذا كانت تكرم اليوم احد ابنائها الذين
من صفاته ما ذكرت ، ولما قدمه للمكتبة العربية
من مؤلفات ، منها المترجم ، ومنها المبتكر من
افكاره ، فانها تكون خطت امثلة نعطش ، لأن
نرى مثلها ، في القريب ، كل مدينة عربية ، تكرم
أصحاب المواهب فيها .

لندكر دائماً ان عماد كل امة لنهضتها انما
هو رجالها المخلصون أصحاب المواهب فيها . هم
في الحقيقة مشاركات الاماني ومباعدت الآمال ،
ليجعلوا امتهم بالقول اهلاً لان تأخذ مكانتها بين
الأمم .

خرج المحتفى به الى العالم ، رأى بنفسه
وبعينيته ، فانتقى النافع ، وفكر بعقله ، ومارس
الحياة ، واطلع على ماقدمه العلم والفكر من
نظرات جمالية . لذلك نرى في مجموعة ماخطه
قلمه ، بمؤلفاته البالغة مئة وثمان وأربعين
كتاباً ، روضة من الافكار ، تتعاقب اغصانها ،
وتفرد اطيبارها ، وتتألق أزهارها .

ماخط قلمه ارضاء لأصحاب جاهه ولا لكسب

نسالوني ماذا تكون هذه العقلية الهادئة المتزنة المتحلية بالاعتدال ؟ أصفها بأنها عقلية الانسان الناضج الذي يتحرر من جعل عقله مرتبطاً بميوله ، ويراقب بدقة ما يدومنه من أقوال وأفعال ، وينجز كل شيء في وقته الملائم ، ثم هو يسلم بما لكل امرئ من قناعة وجدانية ، على اعتبار أن الناس يتفاوتون تفاوت الأزهار بألوانها ورائحتها ، ولأن تجارب الناس اختلف باختلاف الوسط الذي يوجدون فيه ، فهم يجعلون سلوكهم في الحياة على ضوء تجاربهم الخاصة ، وعلى ما نشأوا عليه من عادة . لذلك غدا لكل مسألة أكثر من رأي ، (وكل حزب بما لديهم فرحون) .

لذلك كان من مهمة الأدب توجيه المواطنين حتى تتزحذ اشواقهم ، وتسمو نفوسهم ، وتتحد مشاعرهم ، وليتذوقوا روائع الكون في جماله ، وليؤثروا الخير ، والتزام الاعتدال ، وإزالة ما يكون علق في النفوس في عهد الطفولة من أمور سخيفة وأساطير ضحلة تسبب العجز والتهيه في أضاليل ، بل تحول دون التبصر والعقلانية ، وأن كنا لا نعلم إلا ما يقع تحت الحس ، ونحن عدا جهلنا مما وراء الحسوس ، لا نعرف إلا القليل من عالم الحسوس . ان الأدب - وهذه هي الناحية التي يجب أن ينصب حولها المسمى - اذ يقوم بما ذكرت ، فهو الذي يجعل الحياة في نظر متذوقه أكثر قيمة ، ويجعل الانسان ذا رغبة صادقة وعزم موطن للتقدم والنجاح ، وليكون سعيداً في حياته اذ يتطلع ليسعد غيره مع سعادته لنفسه .

لقد فهم الأستاذ سعد الأدب على أنه دعوة اصلاح ، وتربية المواطن للتسامي ، ولمعرفة حقائق الحياة ، حتى يعيش سعيداً في مجتمع سعيد .

وما تكون السعادة بحق انها سعادة ، الا اذا نفخت في الانسان ما يكون به حقاً انه انسان ، بثقته بنفسه ، وبالكرام من مقاصده ، والجميل من أفعاله ، حتى اذا شاخ ، او اعتزل الحياة ليتدبر مامر عليه في فتوته وشبابه وكهولته ، حدثته أحلامه همماً شبيهاً بهمسات النسيم على ضفاف الفرات في الليالي القمرية .

والى المستمعين النجباء من الناشئة اقول ان ميدان التكريم فيه من المتسع مالم يكن لمن سبقكم من جيل ، مادماً في سبيل ما نسير عليه

من تقدم حضاري . علماً بأن سعادة الامة وسبب مجدها ، ان يكون ابناءؤها أكثر وعياً وعلماً وتقدماً ممن سبقهم . قال الفيلسوف الكبير ابن سينا (على المرء ان لا يقتصر على بلوغ غاية من الأمور التي يزداد بها علماً وفضيلة وبما يقدمه من اعمال باره لغيره ، حتى يسمو الى ما وراء ذلك ، مما هو أعظم قدراً ، وأجل خطراً ، وأسمى غاية .)

فعلیکم تقع ايها الشبان الكرام المسؤولية القومية والانسانية ، للاسهام في تحقيق ما هو الأفضل ، وهو الاجدر بأن يحقق لمصلحة الامة العربية ، ولتكونوا فيها البناة الذين يهتمون بمستقبل أمتهم ، وتوحيد بلادهم ، واسترجاع ما كان لهم من مكانة رفيعة وأمجاد. بذلك تصبحون أسياد مصركم . وكون العربي انه سيد مصره انه انسان ذو أهداف سامية . وفيه نفسية متطلعة للتقدم بروح فياضة من الحيوية والايمان .

واعلموا ان في شرقكم اجداداً لكم كانوا نجوماً تألقوا في سماء المعارف ، واهتدى بنورهم من قامت على اكتافهم الحضارة المعاصرة .

وقد كان من حق امتنا الا يعترى شمسها افول ، لو انها بقيت على ما كانت نهضت عليه من العمل عن علم ، وتبصر ، واقامة للعدل ، والترابط على أساس من الخير ، والحرص على وحدة الكلمة ، منطلقها الايمان ، وقد استقر في قلوبهم ، فاعطوا الاسباب حقها ، ثم توكلوا مقدمين ، متفائلين بان يدركوا احدى الحسنين ، جمعوا الى فصاحة اللسان فصاحة القلب والايمان . ومن ثم كانت كل ارض احتلوها تتدفق بالخير غدرانها ، وتفوح بعير الرحمة والعدل والاحسان ريحانها .

وأما بعد ، فيا أخي سعد ! لقد أمضيت من عمري في لؤلؤة الصحراء عامين احببت فيها كرم أهلها في عروبتهم ، واحببت فراتها ومن كانوا يتسابقون ببطولتهم ، ولكن ما سعدت فيها بمثل سعادتي اليوم ، اذ تقدر فيها ادبياً نابغاً هـ أنت . فسلام على دير الزور وارفة الجنان . وسلام على أهلها ومن فيها من اعلام فصاحة وفرسان بيان ، وسلام عليك وانت في طليعتهم وصاحب سيرة اعقب من الورد والريحان .

الاثنين ١٢ صفر ١٤٠٨ و ٥ تشرين اول ١٩٨٧

سعد صائب

أي نجم يشفع في العلياء
الفرات العظيم أضحي فراتين
يا لسعد التراث بالصائب القيسم أغناه أيما إغناء
خلد الفكر عبر خمسين عاما
وبنى المجد بالكتابة للأجيال
لك يا سعد يارفيق شبابي
كم تمنيت منذ عهد بعيد
فالتقينا في يوم تكريم سعد
فلك الشكر باجتماع الأبناء



يا أسود الفرات يا من رفعتهم
أنتم فخر يعرب فاعيدوا
منكم الكاتب الأديب ومنكم
منكم الشاعر الفراتي غني
منكم الثائر الذي قارع
الجهاد المرير نبت ثراكم
والأضاحي جدتم بها لاتزاع
وعلى درب وحدة تجمع العرب



أنت يا سعد قد عهدناك خصماً
وتعيش الحياة حراً كريماً
ما حياة الأديب الا كفاح
وإذا أطلق الأديب نداءً
لغشوم يقسو على الضعفاء
عامر النفس بالسنى والسناء
بمضياء وهمة قعساء
فصداه في مسمع الجوزاء

أثر الكاتب المجيد ثراء
كنزه في الصدور يحفظ
مبدأ الكاتب الأديب جهاد
إن يطل ليله فكم وجد الماء
لم تعم ثورة على الظلم إلا
قد نشرت المفيد من فكرك
والدراسات فصلت ببيان
وإذا ما نقدت كنت حصيفاً
كل سطر يفيض نوراً وهدياً

ليس يغنى يفوق كل ثراء
والأسفار لافي خزائن الأغنياء
ليس تشبه سطوة الأقوياء
انباصاً من صخرة صماء
ولظاها منابر الخطباء
النير أعظم بمنهل القراء
عبقري التبيين والانشاء
لا تماري في نقدك البناء
كل حرف سيف على الأعداء



فلهذي الربوع أسمى التهاني
عشت ياسعد للثقافة ذخراً

بينها الأمائل النجباء
وجزاك الرحمن خير الجزاء

عبد المجيد التجار

دمشق في ١ / ١١ / ١٩٨٧



سعد صائب

الرجل والموقف

جمال عبود

في هيئة المركز الثقافي ، ممثلة بمديره الاستاذ عدنان ناصر ومن آزره ، أبوا إلا أن يعكسوا مآسار في المثل ، ويقلبوا الصورة التي أزفت ، فكانوا بمبادرتهم التي نحياها روادا ومبدعي نهج لا يسعنا إلا أن نرجو له أن يعم ويتكرس . فهم الذين وبهذه المبادرة أكدوا ، ولكل من سمع ويسمع أن الأديب مكرم في بلده وعصره ، وهو ما يعني كرامة كل الأدباء ممثلة في تكريم أستاذنا الجليل المبدع ، . . . سعد صائب ولكن ، من هو سعد صائب فعلا . . .؟! . . .! . . .! فهو صاحب السبعين كتاباً مطبوعاً ، غصى على طباعته أولها خمسة وثلاثون عاماً فقط (في خلال الوعي ، ١٩٥٢) ، ، . . .! . . .! ، . . .!

تحية وسلاماً أيها الصاحب الكريم :

وتحية اكبائر تقدير لمن حاز بالجد والثابرة فضل الحسينين :

فضل المبادرة بهذه الدعوة الكريمة ، وفضل نوال الشرف في أحياء هذه الأمسية الكريمة .

وقد سبق القول في سابق الأزمان أن لا كرامة لنبي في بلده ، وجزياً على القول نفسه ، ومن بعد التجربة والممارسة ، أمكن القول : لا كرامة لأديب في عصره . ولكن صحبنا الأكارم

وماذا يعني ذلك ؟! ، وماذا يعني أن لديه ، فقط . . . ثمانية وسبعون كتاباً مخطوطاً .؟! .
حقاً ماذا يعني كل ذلك إذا كان هو نفسه الذي يقول :

« ماتدكرت مرة ملاحظة استاذي خليل الهنداوي ، على دفترتي المدرسي ، كفى تهاوناً ، الا وندمت أشد الندم » .

وأكيد هو نادم لما فاته من حظ في المطالعة والدرس ، الأمر الذي أوجب أن تغيثه تلك الملاحظة : واكيد انه ليس بنادم على تلك الملاحظة التي شكلت منعطفاً في حياته . .

هذا ما يقوله سعد صائب ، ياسيدي . سعد الذي جاوزت مؤلفاته المائة والخمسين ، بين مطبوع ومخطوط . ولم لا يقول ذلك وهو ما يزال يعمل بحماس المبتدئ الذي عليه ان يركض ويلهث . . والا نسيه من الوجود حتى الاقربون نعم ياسيدي . فما لم يركض هذا الرجل فمن أين لنا أن ندري بأنه موجود ، أما أن تظن اليه ولامثاله ، وهم قلة قليلة واستثناء نادر سنكتشف عظمتهم متأخرين . . كالعادة ، أقول أما أن تظن اليه ولامثاله واحدة من جامعاتنا فذاك ما يبدو انه المستحيل بعينه ، حتى لو فطن اليه القيمون على جائزة نوبل . . . وسعوا بها الى عنده .

وحقاً انه لأمر مستغرب ، ومستنكر . ان تظن جامعات العالم الى امثال سعد صائب وعبد المعين الملوحي ، فتمنحهم الألقاب وكراسي التدريس . . هذا ممكن وقد حصل لغير واحد من امثالهم ، اما جامعاتنا التي لم يخلق مثلها في البلاد . . فهذه لن يقنعها بوجوده وتميزه الا الذي يجيئها بتلك الوريقة السحرية ، ولو حصل عليها بالمراسلة فقط . . ولو كان موضوعها أعني موضوع رسالة الدكتوراه ذاتها ، بعضاً من كتب سعد صائب ليس غير . وصدقوني ، ان لم يحصل هذا فعلاً ، فلا تستغربوا أن يحصل ذلك ذات يوم ، وسأشهدكم حينها على أن قراءة تجربة سعد صائب ستكون مشروعاً مناسباً لأكثر من دكتوراه ، وسترون . ولكن الرجل نادم ، كما قال بنفسه ، فتعالوا نرى كم هو نادم فعلاً .

شفيق الكمالي وعبد اللطيف الكمالي ، هو الذي لم تعقه المسافات . . فكان رحالة جاب الامكنة والبلاد ، فبلغ المانيا الغربية وسويسرا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وايطاليا في العام ١٩٦٣ . ثم طاف تركيا وبلغاريا ويوغسلافيا والنمسا وايطاليا في العام ١٩٦٦ ، وبلغ بريطانيا في العام ١٩٧٩ ، وأوفد رئيساً لوفد اتحاد الكتاب العرب الى الاتحاد السوفيتي في العام ١٩٨٠ . وهو الذي عقدت أواصر الصداقة بينه وبين أدباء عالمين ، اخصهم كان موريس كاريم الشاعر البلجيكي ، والشاعرة ايفون ستيرك ، والشاعر جورج لانس . وقد ترجم لموريس كاريم وترجم لايفون ستيرك (التي تغنت بالثورة الفلسطينية) ، وترجم لجورج لانس كل أعماله الشعرية البالغة اثني عشر ديواناً .

نعم هو هذا الرجل ، وهو ذاته الذي نشر أولى قصائده في الشعر المنشور ما بين عامي ١٩٣٦ ، ١٩٤٠ في مجلة الصباح لعبد الغني العطري ، والرجل ما يزال يشهد على ذلك . وهو الذي ينتظر بالرضا والمودة لكل آراءالنقاد فيه ، بل يقولها بصراحة . . « لقد أنصفتي النقاد » ، ولماذا لا يقولها وهو الذي يؤكد بعفوية الاطفال وصدقهم .

« . . صدقني ليس لي اعداء . . احب الناس جميعاً . . أتجنب الخصومات . انا مسالم » . وكيف له أن يجمع بين الخصومات وطبعه المسالم وهو الذي كان أول من دعا لتشكيل جمعية الادباء العرب في العام ١٩٥٨ ، وأول من لبي دعوته تلك : ابراهيم الكيلاني ، وشكيب الجابري ، ومطاع الصفدي ، وكانوا نواة تلك الجمعية . ولم لا يدعو اليها وهو الذي كان قد أنفق ، حتى ذلك الوقت ، ما يقرب من الربع قرن في تجربة النشر التي بدأها منذ عام ١٩٣٦ بجريدة الأيام بمقال . . الشعب والحكومة أما محاضراته فلم يتأخر بها الا الى العام ١٩٤٢ ، حيث بدأها عن الأديب الفيلسوف الفراتي القديم لوقيانوس السميستاني ، وقد شهد نادي الأخوة بدير الزور أولى محاضراته ، وكان هو أمين سره .

وها هو الآن بين أيديكم ، واسمعوا اليه يقول :

● اقرأ عشر ساعات يومياً ، واكتب ثلاث ساعات . اصحو في الرابعة صباحاً ، فأقرا حتى

سعد صائب المولود في العام ١٩١٧ ، والذي أمضى طفولته في مدينة البوكمال ، وكان من لداته

لست نادماً على أنك أنت أنت كاتب هذه الوثيقة
التي بين يدي ، ولأنك لست نادماً عليها بالتأكد
نساقرأها على الملأ ، وبحضورك أنت :

دمشق في ١٩٨٥/٩/٤

السيد الأستاذ نبيل حلمي اسكندر

المشرف على البرامج العامة
والأحاديث الثقافية (القسم
العربي - هيئة الإذاعة
البريطانية)

تحية طيبة وبعد :

إشارة الى كتابكم المؤرخ في ١٩٨٥/٨/٩
المتضمن دعوتي للاسهام في أحاديث « القسم
العربي » الثقافية والأدبية ، أوضح لكم مايلي :

لقد قصيت من عمري الأدبي خمسين عاماً
لم أذع في محطة ، أو أنشر في مجلة اجنبية تنطق
بالعربية ، فهل أتيح لهذه الإذاعة - التي كان
أصحابها الانكليز - سبب محنتنا في فلسطين ،
اغرائي بالحديث فيها ولو ملكتني الملايين ؟

كلا وحق عرودتي !

انا الذي ماخطر بقلبي ساعة أن أرتاح الى
الازدواجية عند سواي طوال حياتي ، فكيف
يرتاح اليها أدبي وقد جعلته مثلاً يحتدى لقيمي
ومثلي ومبادئ لا يحيد عنها ؟ . . .

ختاماً ، أرجو قبول عذري مع صادق تحيتي

سعد صائب

وبعد أبا هيثم :

وبعد أيها الكبير كقضية ، أيها العريق
كتراث ، أيها المتألق كحضارة . احقاً تجد لديك
الجرأة على أن تندم حقاً . فلتندم يارجل ، فهذا
حقك في آخر الأمر ، ولكن ثق بأنني لست نادماً
قط ، ولن أندم وحياتك . لن أندم مادام حسن
طالعي قد أتاح لي أن أدرك بعض نفحات وجودك
. . . بعض اضاءاتك للطريق التي يجب عليها أن
تكون . وحياتك أبا هيثم نحن على الطريق . . .
ولن نندم ولو لم يكن بانتظارنا غير الندم ، أفلا
يكفينا ويشفع لنا أننا نستضيء بمشاعل قد
تخبو لبعض الوقت ، ولكنها أبداً أبداً . . . لن
تنطفئ ، واني أقسم ، وأنتم تشهدون .

جمال عبود

١٩٨٧ / ١٠ / ٢٤

السابعة ، بعدها أفطر . . . ثم أتابع القراءة
حتى الحادية عشرة . ثم أخرج الى حديقة
عامة ، أو لزيارة بعض الأصدقاء ، ثم أعود
في الثانية ، حيث أنام ساعة واحدة . . . وبعدها
أقرأ .

● علمتني الحياة المحبة : محبة أممي
وقومي ، وبالمحبة أقرب من الناس وأرتاح
لحياتي .

● الشعر الحر لا نستطيع تسميته شعراً ،
أنا أسميه نثراً نثياً ، وقد كتبه أول مرة في
العام ١٩٢٦ . ومن نه موهبة عطاء الشعر الحر
يستطيع أن يؤثر في القارئ والسماع كتأثير
الشعر المحافظ ، فالشعر عاطفة وفكر . . . يؤثر
ويتأثر .

● كنت أتمنى أن أكون أديباً ، وهذا مالم
أحققه بعد . ! فانا مازلت أحمو . . . !

● أجمل كتاباتي هي الكثير الذي لم اكتبه
بعد ، وأمل أن يمتد بي العمر كي أكتب بعض
ما أهجر بكتابته . . .

● حبي للأطفال دفعني لكتابة قصص لهم
بأسلوب أردت به أن يرتفع بمستواهم ، وأردت
أن أملا حياتهم بالحقيقة والخيال .

● للجيل الجديد أقول : أمل لكم أن
تشقوا طريقكم بإبداعكم ، بحيث تستطيعون أن
تسهموا في تطوير حياتنا وازدهارها وانماء وعي
مواطننا وفتح آفاقه حتى يكون قادراً على مواجهة
الحياة وتركيز مكانتنا في العالم ، لأننا أمة
ذات حضارة وبقيني أننا في تراثنا نبز جميع الأمم .
● ويقول حين تسأله عما يؤلمه حقاً . . .

أبكي لامتي المشرذمة المقسمة . . . أبكي
للحال التي بلغناها ، فار اتحدنا واجتمعنا
لتجاوزنا باقي الأمم . نحن أمة لديها التاريخ
واللغة ويجمعنا دين واحد وأرض واحدة ، أي
كل مقومات الأمة الواحدة . . . فلماذا لا نكون أمة
واحدة . . .؟! بقول هذا وتندافع دموع عينيه
قبل تدافع الكلام من شفثيه المرتعشتين . . .

حسناً أبا هيثم ولكنك نادماً كما تنامي الي .
وأنت بالطبع لست نادماً على أنك رجمت
الفرنسيين حين كنت يافعاً ، ولست نادماً
بالتأكيد لأنك قادت عملية احراق كتب الفرنسيين
في العام ١٩٤٦ حين حملتم تلك الكتب بنعش
وأحرقتموها . . . وحين استخف الطرب بفريد
الفرات محمد الفراتي فأنشد قصيدة في تلك
الساعة . واكيد أنك لم تندم على تنديك الدائم
بالمستعمر ، حين كان رفقاًؤك ينتدبونك خطيباً
كلما دعت الحاجة لذلك . وأيضاً وأيضاً أنت

أخي سعد: يا فيس العمر

بقلم: د. إبراهيم الكيلاني

وهذا كله لا يعدو باب التسلية وترجية الفراغ .
ومنهم من يكتب ولا يقرأ وهم وان حشروا بين
الادباء ، وصالوا وجالوا في ساحة الأدب ، فهم
يفتحون آبار غيرهم ، فليس لديهم ، وايم الحق ،
الا المكرور المعاد ، والرجيع من الأقوال والافكار ،
فغاية همهم لفت انظار الجمهور ، والتسلل الى
المعبد الأدبي الكبير ، ولكن عيها ! نظرت ياسعد
الى الأدب نظرة جدية ورصينة ، فوقفت عليه
أيام عمرك متخذاً من « الوظيفة الحكومية » مهنة
ثانية تغنيك عن مشاغل المادة . وبيع الكلمة في
سوق الكساد ، وتقيك عشرات الزمان ، وتضمن
لك حرية العمل الأدبي والاستقلال الفكري بعيداً
عن المساومات والتنازلات التي تفرضها احداث
هذا الزمن الأغر التي باع فيها المثقف العربي
نفسه ومثله . ولعل حرصك على الاستقلال
الفكري أدى الى عدم اشغالك بالسياسة بالرغم
من اغراءاتها وجاذبيتها ولمعان سراها الخداع
واستدراجها الموهوبين من الادباء والفنانين ،
لذا فضلت الانصراف الى الكتابة والتأليف حتى
تجاوزت كتبك الخمسين عداً ، فيها أذبت ، على
مر السنين روحك وفكرك وانا على يقين بانك
لم تجن منها ربها مادياً يذكر ، وأن جل ما حصلت
عليه بعد هذا العناء المضني ، والسهر الطويل
بضع وريقات سورية لا تسمن ولا تغني من جوع
استخلصتها ، بعد الحاف واملال ، وغدو ورواح ،
وهياك ومياط من أشداق الناشرين المستغلين ،
وبرائن تجار الكتب الجشعين !

أردت بعد ان نمت ثروتك الروحية ، وقويت
ملكك البلاغية ، وقبضت على ناصية اللفظة
العربية بالدرس والمطالعة والتأمل والتشرب ، الا
يخفي عليك شيء جميل في الأدب العالمي ،
فتخطيت الحدود ، وعكفت على روائع الأدب
الأجنبي مسترشداً حيك السليم ، وذوقك
الأصيل فترجمت ما ترجمت وكانت حصيلة ذلك
مجموعة رائعة من صفوة الأدب الاوربي مما
ادخل على أدبنا العربي المعاصر نغمات جديدة ،
ونسيمات منعشة ، وأنماط من الشعر والنثر
لا عهد للناس بها ، فاغتنيت واغنييت واستحقيت
شكر الاجيال .

وبعد هنيئاً لك بهذا التكريم وشكراً للديرين
الذين كرموا بشخصك الأدب والادباء .

كم كنت مسروراً عندما ترامى الي ان جماعة
من مريرك ومندوقي أدبك وعارفي فضلك
والمعجبين بشمائلك تنادوا لاقامة حفلة لتكريمك
في بلدك انذي احببت وعشقت . مدفوعين بالحب
والوفاء والاعتراف بالجميل . انها السنة حميدة
تكريم رجل الفكر في حياته بعد ان درج الناس ،
في شرقنا العربي ، على تكريمه بعد وفاته ، وهذا
لعمرى أقل تقدير يقدم لمن وقف عمره وعقله
ودنياه على تقديس الحرف واعلاء شأن الكلمة .
أخي سعد !

أنا وقد بلغنا سوية مرحلة العمر الأخيرة
أو ما يسميه الغربيون العمر الثالث ، ولا ندري
متى تكون نهايته ، فلا بد في هذا المقام من عودة
عجلى أبنى الوراء . الى ما يقرب من نصف قرن
لاستعراض ماض فيه كثير من الحنين والعبور ،
وايقاظ الذكريات من رقدتها ، واستحضار
الصور التي نجت من البلى وتعامد العهد ، فظلت
محتفظة بخطوطها وقسماتها وشيء من ألها .

تراءى لي صورتك وملامحك وقصدك
الممشوق ولهجتك الديرية المحببة ووعيك المبكر
المنبئ عن ميل أدبي نزاع الى الظهور قبل اوانه
متخطياً مستوى أقرانك وأندادك في المعرفة والوعي
والتلقي . لقد تجلت مواهبك المبكرة في الانكباب
على المطالعة وجعلها غذاءك اليومي ، واتخاذ
الكتاب سميراً وخذينا حتى بلغت حد الشفط
والفهم بل حد اغتراس الكتب كما يقول الغربيون .
وكنت كلما أمعنت في اشباع ما ينزو قلبك اليه
أضاءت المطالعات روحك الفتية ، وفكرك
اليقظان ، وزرودتك بالافكار الجميلة ، والانفعالات
المجدية . والاخيلة الدقيقة مشفوعة بالاحاسيس
التي أيفظت في أعماق نفسك النبتة العجول
التي ستجعل منك بعد تفنحها وازدهارها أدبياً
كبيراً ذا منحى فكري ، وأسلوب كتابي ، هما
ركنا صناعة الأدب .

لعل أكبر مميزاتك انك وهبت فضيلتين
قل نظيرها بين لداتك هي جمعك في بداية مسارك
الأدبي والفكري بين القراءة والكتابة ، فثمة اناس
يقرأون ويترأون كثيراً ولكنهم لا يكتبون فهم
يقفون عند حد التلذذ الفكري . والتذوق العقلي
المترف ، والتهذب النفسي ، أو الفرار من واقع
الليم ، أو ابتغاء جواء بعيدة وعوالم متمناة ،

تحية الى صديوي العره: سعد صائب

بقلم: د. بدیع حقي

بلى ان هذا الشاب النحيل ، كان مثلي
يغمس نظراته الظامنة في موارد الأدب التي احب
أن أنهل منها ، كان يحب ما احب ، ويتذوق ما
أذوق ، ويدور كالفراشة الجذلي ، الحالة ،
الحائمة حول زهراتها التذوية ، في بستانها
المرع النضير .

بلى انه مثلي مولع بالشعر الفرنسي ، يحب
بودلير وفيرلين ومالارميه ورامبو ، والشعراء
الرمزيين على نحو ظاهر متميز، واتساءل، آنذاك،
في قرارة نفسي ، علام لا ينظم سعد الشعر ، وهو
الذي يملك الكلمة الموحية ويعرف مواطن الجمال
في القصيد ، وأوقع ، صاباً ، أن يقرزم الشعر
ليسلس له الوزن وتنقاد القافية . لا . انه يؤثر
أن يظل ، دوماً ، كالنحلة الرشيقة البارعة ،
يصنع الشهد الشهي للناس ، أكثر ما يصنعه
لنفسه ، فهو ينقل أروع الشعر العالمي الى
العربية ، دون أن ينظم الشعر ، مكتفياً بهذه
المهمة الشاقة الحلوة معاً ، ليروي ظمأ من
ينشدون الينابيع الثرة السخية التي يجهلها
القارئ العربي .

أخي سعد :

هانت ذا تدنو من السبعين ، وتحبو اليها،
وأنا منها ، على فيد خطا ثلاث – تنفسح سنة
في كل خطوة – ويتراءى لي أن نصف القرن من
الزمان الذي مضى على صداقتنا ، لم يتحيف
قط ، من قلبك الفتى ، فلعلك تردد مثلي، ما قاله
سلامة مرسى : (أنا شاب في السبعين من عمري)،
فما زالت نظائك الشابة المتقدة ، تنقب عن
مواطن الجمال ، في حدائق الشعر العالمي ، لتقطف
منها ورداً ، وريحاناً وزهرات يانعة ، تجمعها ،
تترجمها ، تنسقها ، بيدك اللبقة الصناع ، ثم
ترجيها للقارئ العربي ، باقة مؤتلفة ، لا أحلى
ولا أندى .

بلى لقد مر نصف قرن ، على صداقتنا ،
ولكن ذاكرتي مازالت تدخر صورة الشاب سعد،
بقامته المشيقة الفارعة التي تطاول النحلة السحوق،
وضحكته المترقرقة على شفثيه ، وسحنته التي
تشده الى الصحراء ، ولهجته الديرية المحببة ،
تقطر نداوة ورياً من ماء الفرات .

رسائلك ، في غربتي البعيدة ، ندية بالشوق
والمحبة والوفاء .

هكذا تظل ياسعد ، صديق العمر الذي
يكن لي الود ، سمحا ، صافيا ، نقياً . . .

ولما صدر ديواني (سحر) - وكنت
سمعت أكثر قصائده في داري أو دارك - أبيت
الا أن تكتب عنه دراسة وافية ، دلت فيها على
مواطن الجمال فيه ، وانساق ، في حروف
مقالك ، المحللة المعجبة ، نبضات من قلبك
الوفي المعطاء .

منذ قرابة شهر ، أقيم حفل ، في اتحاد
الكتاب العربي ، تكريماً لأدبي وتقويماً له ، وقد
أسعدني أن تكون بين الحاضرين الذين شاؤوا
أن يحيطوني ، آنذاك ، بنظراتهم المحبة ، لقد
كان هذا التكريم ، في الواقع ، تكريماً لرفاق
دربك الطويل ، ليشق الحرف الهازج الحلو ،
طريقه اللاحبة ، الى القلوب ، كل القلوب .

وهانذا أسمع أن مدينة دير الزور ، حيث
ولدت ونشأت ، حيث انسقت نظراتك اللاهفة ،
الى ضفاف فرائها العظيم ، وتسلفت معارج
فضائها الرحب ، وتفلطت في مدى صحرائها
المترامية ، أن هذه المدينة العربية العريقة ، تريد
أن تكرم سعد صائب ، ابنها الحبيب الذي سعى ،
عمره كله ، لاغناء المكتبة العربية بأحلى ما اشتره
من صور وكلمات وقصائد ، من كنوز الأدب
الغربي ، ليريقه في رئات كلمات عربية أصيلة .

وأنه ليحلولي ، أنا صديق العمر ، أن
تستبق تحيتي وكلماتي هذه المتواضعة ، الى هذه
المناسبة ، لتلهج بمزاياك وأدبك ، أنت الذي ظل
يعمل ، خلال نصف قرن ، في صبر وصمت
وأناة ، ليمجد الحرف العربي ويوشيه بوساوس
فكره وخفقات قلبه وخطرات نفسه ووجدانه .

وتترادف الزيارات فيما بيننا ، ياسعد ،
اقرا لك بعض ما أنظم أو اكتب ، وتقرأ لي
بعض ما تسطر من مقالات ، وما يهمس في خاطرك
من أفكار ، وما تنتخل من شعر رائع عالمي ، تنقله
الى العربية ، بأسلوبك المجنح وتوشيه بتعليقاتك
وتحليلك البارع ، حتى اذا اتسق لك ، ذات يوم ،
ما ترجمت ونقلت من شعر ، باقة تتضوع عطراً
وسحراً ، ضمها كتابك (شعراء رمزيون وشعراء
معاصرون) طلبت الي ، أن أصدره بمقدمة ، فلبيت
مفتبطاً ، لتكون هذه المقدمة موضع اعتزازي
ورمزاً للصداقة المشتركة والمودة الخالصة ،
ودلالة لما يجمع بيني وبينك من مشاعر متماثلة
في تذوق الشعر . فكاننا كنا ، في هذا الكتاب ،
على موعد منتظر مضروب ، نتحدث في ركن
منعزل من أركان غرفتك ، ونتبادل الرأي ، في
مشاكل ترجمة الشعر ومعاناتها ، فقد كانت
تجاذبني الهموم نفسها ، فما كنت أنقل شعر
رابندرانات طاغور ، نثراً ، الى اللغة العربية ،
(لان القصيدة - كما جلوت انا في مقدمة كتابك
هذا ، تشبه كائناً سويماً ، انها تلهث وتتنفس
بالفاظها ، وتسعى وتحرك بأوزانها ، وتنادي
وتستجيب بقوافيها وتحلم وتفكر بمعانيها ، فاذا
افتلذت عضواً من أعضائها بالترجمة ، غاض
رونقها وجف ماء الحياة فيها ، وأضحت مهمة
الترجم ، كمهمة الطبيب : أن يسعف القصيدة
بعلاجه ، بالفاظه ، بلقائه وحسن فهمه ، حتى
يتأتى لبعض نسيجات الحياة أن تفيء اليها) .

وكذلك عرفت ياسعد بما لديك من الفاظ
رقيقة ، طيبة ، أن تغري معاني قصائدك المعربة ،
بالفاظ قشبية ، أمينة للأصل ، معنى ومبنى .

وتستبد بي الآفاق النائبة ، في عملي
الدبلوماسي ، بعيداً عن دمشق ، فأكتب لك ،
من فرنسا وسويسرا وأفغانستان وغيرها ، وانفض
لك مواجع حنيني الى الوطن الحبيب ، واتلقى

باقة حروف

مهدة : الى الاستاذ والاديب سعد صائب

مثلا كنت تزدهي عنفوانا
بين كفيك تشعل الشمعدانا
وأركب الريح في السباق حصانا
ليس يرضى مذلة وهوانا
من يبايع صفوه أغنانا
وأمر الشباب من أعطانا
أما الكهل من كباوتوانا
فغدوت الأمواج والرباننا
فنسجت البديع والألحانا
جعلوا منه في الوري بستانا
في عيون التاريخ تهوى الرهانا
باباء لتقتل السرطانا
أن رمانا فلن تفوز خطانا
هل سمعت الحسون والكروانا
وغناء الطيور كم أشجانا
مثل بحر قد أغرق الشطانا
رغم ليلي والعزم لا ما استكانا
مثل دنيا الفرات تغني الزمانا
فهو من فيض مائه قد سقانا
أن اردناه للصحارى جنانا
من تخلى عن الجهاد وهانا
من رمى السيف في التراب وخانا
فغدى لون ثوبها ألوانا
تلعن الذل ما يكون وكانا
يمضفون الآلام والأحزاننا
مالذي أطعم الجياع وخانا
صرت في بحر حيرتي سكرانا
يتلظى على صراخ الحزاننا
وأثيماً وتاجراً وجباننا
أن غدا الشعر في فمي غضباننا
تبعث الحرف في الوغا بركانا
فخذ الجنار والاقحوانا

عانق الشمس وأبدأ المهرجانا
عانق الشمس واتقد فالليالي
عانق الشمس مارداً المعيا
أن من يركب الرياح أيباً
يااديباً توهج الفكر فيه
أنت ما زلت في العطاء شباباً
ليس من شاب شعره صار كهلاً
أنت إبحرت في الخضم دؤوباً
أنت أذكيت في الحروف لساني
يزهر الفكر في الرجال إذا ما
أيه ياسعد كنت نبراس مجد
لم تزل تحمل الضياء وتمعي
أنه الجهل ذلك أدهى وباء
أيه ياسعد ياأخا الحرف عفواً
يعزفان الألحان للنهر عشقاً
هل تراني والليل يمتد حولي
أنا ماكنت للظلام ذليلاً
إنني الآن فيك أبصر دنيا
أن نهر الفرات يكبر فينا
أن نهر الفرات أعظم نهر
أيه ياسعد ياأخا المجد قل لي
من تلاش يوم الميادين صاحت
ما الذي فرق البلاد بذل
ما الذي شرد النساء فراحت
ما الذي أربع الصفار فصاروا
ما الذي أشبع الحزانى دموعاً
ما الذي ما الذي أجبني فأنسي
أطلق الصوت غاضباً وفؤادي
لا رعى الله مارقاً وعميلاً
أيه ياسعد لا تلمني عذراً
فلقد كنت نائراً في المواضي
لك ياسعد باقة من حروفي

شعر: محمد عبد الحادو

اليوم بعثت

كلمة : سعد صائب

— رغم هذا — بعثتموني من رماد حياتي ، وأنا
أتم شباباً وجمالاً : على الرغم من أن الزمن
نزع بي عنكم ، وإني منذ نزوحني لأفتأ أكابد
آلاماً مبرحة من فراقكم !

أجل ! لقد حالفني الحظ فولدت اليوم ،
وبعثت الساعة التي أتلفت فيها فأراكم ماثلين
حيالي بكل ما تحلون من صدق إخاء ،
وما تكونون من طيب وفاء وما تضسرون من
نبل اريحية ! .. أجل ! لقد بعثت اليوم بعد أن
أسرجتهم لي المحبة ، واسلمتموني عنانها ،
وقلتم لي : إدأب على السير على درب الأدب
بقلب دافء ، وصل .. وحذار ، حذار أن تقف
خلال مسيرتك ، وإلا استرددنا محبتنا ، وأمسكنا
عن مودتنا ، فما غير الأدب الذي التزمت به
يشدك إلينا ، وما نم غير الإرادة الحنة يدلنا
عليك .. فنحن اليوم أكثر من أي وقت
مضى بأمس الحاجة إلى الأدباء الملتزمين ، ذوي
القلوب التي آسنها بمحبتنا ، وذوي الضمائر
الحية التي أوليناها رعايتنا وحبنا ، وذوي
الأفكار التي تعاق حقيقتنا ولا تنأى عنها ،
لأنها هي وحدها التي تحررهم من إغلالهم !
لكأني بعيونكم تهمس لي ، وتلحف في
همسها :

آن لك الساعة أن تجهر لنا بقولك ،
وتتحدث لنا عن أدبك ، بعد أن سرى عنا
زملاؤك ما قالوه عنك ، ولن نلتمس نصمتك
عذراً ، فليس بد من حديثك .. أفصح لنا
أنت عن مكنونك ، كما أفصح أخوتك الأدباء

السيد المحافظ راعي الحفل !
السيد اللواء قائد المنطقة الشرقية !

أيها المواطنون الأعزاء !
أيها الأخوة الأدباء رفاق الدرب !

الحق أقول إني لا أدري كيف أعرب لكم
عن سعادتني ، ولا كيف أعبر لكم عما داخني من
سرور لا يعدله شيء ، وأنا أرنو إلى جمعكم
الحافل — خلال هاتين الأمسيتين — فاحس
بالدفع يسري في حناياي ، وأعير سمعي إلى
أقوال اخوتي الأدباء ، وهم من أفذاذ الكتاب
والشعراء ونوابغهم ، فتساورني البهجة مما
بدلتم وبدلوا من ود لي ، يدلني أعظم دلالة
على أنني أصبت عند كليكما منزلة وجاهاً ،
ويتهج قلبي، بخاصة ، لما أسبغه علي اخوتي
المتحدثون والشعراء ، من تقدير أبدوه نحوي ،
اثلاج صدري ، وأدفاً عاطفتي !

ولست أخفى عليكم ، وقد أخذت — في
هاتين الأمسيتين — حظي من الحفاوة ، وقسطي
من المودة والتكريم ، مما لا قبل لسواي بهما ،
أنني حاكيت طائر « الثينيق » أو « العنقاء »
كما ندعوه ... ذلك الطائر الخرافي الشبيه
بالنسر ، الذي يرسل ريشه بريقاً من أرجوان
وذهب ، وأنه — كما تزعم الأسطورة — يعمر
خمسة قرون ، وبعد أن يحرق نفسه يبعث من
رماده أتم شباباً وجمالاً .. مع الفارق أنني
عمرت سبعين عاماً ، بلغني ابانها الكبر وثقلت
أذناي ، وتعاورتني همومها ، واحتملت من
أجلها مشقة شديدة انقضت ظهري .. وانكم

عنك ، وأسمعنا نبض قلبك ، كما أسمعونا
نبضات قلوبهم .. امزج رؤيتك برؤيتهم ، كيما
تبدو لنا الرؤيتان حقيقتين ماثلتين لعياننا ،
نستاف منهما عبر الليلتين ، وتذوق عذوبة
شدهما ! ..

حنانيكم ! لاتستعجلوا همسكم !

حنانيكم لا تستحثوني على الحديث عن
أدبي ، فانه ليكيكم ما اورده عني خلاني
الأدباء ، وما أنشده في أخوتي الشعراء ...
فلست أستطيع الحديث عن أدبي وما أعطيت ،
ولا أستلذذ القول في تجربتي الأدبية وما عانيت ،
بعد أن فاضوا بذكرهما أيما إفاضة ، وأدلو
بآرائهم السديدة بشأنهما ، وأفصحوا عن
نظرتكم الحصيفة بصددها ، فكانوا - كعهدي
بهم - بارعين حين يتصدون للتعريف بأديب ،
ملمين في تذوق نتاجه وفهمه ، حاذقين في تحريم
مذهبه ، وتصوير اسهامه في الحركة الأدبية التي
عايشها ، والتجربة الأدبية التي مارسها وعانها ! ..

لست بصدد الكلام عن هذا كله ، ولا
بسبيل القول فيه ... - ولكي لا أقطع رجاءكم
أو أطيل الحديث فيثقل عليكم - سأكتفي
بالبسير من الكلام عن وظيفتي أو رسالتي
كأديب أمضى نصف قرن صبر فيه عن لذات
الحياة ، ولم يأبه لها أو يعيرها اهتماماً حتى
ليصدق في قول شاعرنا « أبو دلف » :

صبرت عن اللذات حتى تولت
وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى
فان أطمعت تاقت وإلا تسلت

حاملًا رسالتي أمانة في عنقي ، وعهداً
آليت على نفسي الوفاء به ، على الرغم من صعاب
الحياة الجمة التي اعتورتني ، وعقبات العيش
الوافرة التي اعترضت سبيلي ، شأن كل أديب تمر
أتمه في مرحلة انتقال ، تطاح فيها إلى بلوغ
ماترجوه من تطور حضاري ، ، يسكن القول
على نحو آخر ، إلى بلوغ ما ترجوه من رقي
وازدهار يسموان بقيمة الأدب ، ويرفعان من
شأن الأدباء ! ..

ثمة سؤال يتبادر إلى ذهني وأنا واقف
حيالكم :

تري .. هل حققت ما استحق عليه تكريماً ،
في هذه الحقبة المنقضية من حياتي ، وقد علا
الشيب رأسي ؟ ..

قبل لقائي بكم ، واستماعي الى الكلمات
الرائعة التي ألقاها اخوتي الأدباء والشعراء
الذين قامت بيني وبينهم وشائج الأخوة ،
وتوثقت أواصر المحبة ، وما طاف بأذهانهم من
حياتي الأدبية ، لم أكن إخال أنني استحق
هذا التكريم ... أما بعد هذا اللقاء الجميل ،
والقاء الأخوة كلماتهم وقصائدهم ، وما اسبقوه
علي فيا تناولوه مستفيضين في جلاء تجربتي
الأدبية . أعني تبعتي كأديب ، وهي أعمق
التبعات عمقاً ، وإشارتهم الى وظيفتي ككاتب
وهي أخطر الوظائف خطراً لمن يتصدى للقيام
بها ، والتزام واجباتها ، فاني أدع لكم وللزمن
الحكم لي أو علي ، لأنكما وحدكما تملكان
الإجابة . ولأنكما وحدكما تبتان في الحكم ! ..
وأياً كان الواقع الذي درسوه ، والحقيقة التي
كشفوا عنها ، فيما يتصل بي وبأدبي ، فاني

قيد انملة ، يقيناً مني بأن على الأديب أن يوقف نفسه وأدبه لخدمة أمته ومجتمعه ، والوفاء لهما ! . . .

لذا أضحي الأدب لدي « ديانة لها كل القدسية ، ولا يمكن أن أغفل شعيرة من شعائرها ، أو اغتفر لنفسي التقصير في أهون نوافلها » منطلقاً - في البدء - على سجيتي ، اخطيء كثيراً ، وأصيب قليلاً . . . ولم تزايلني هذه الظاهرة التي ظلت تعذبني وتقض مضجعي والتي كنت أعزوها الى « حدائتي الأدبية » حتى ملكت - بعد جهد وعناء - لغتي الخاصة ، واسلوبتي الخاص ، فألسالي قيادهما على حذر . . . أقول على حذر ، لأن القلق والشك ما فتئا يساوراني في امتلاك ناصية هاتين القيمتين . . . واني موكل إلى النقاد أمر تقويمهما ، لأنهم أقدر مني بمداخيلهما . . .

ولقد سرى ذلك عني أنني لم أكن طوال حياتي الأدبية سلبياً ولا منعزلاً ، أو منصرفاً عن الغرض المقصود ، ومرد ذلك كله إلى خلوي حياتي من الصراع النفسي ، والقلق الفكري ، وإلى دأبي على فهم الصلة التي تصل أدبي بمجتمعي ، وإلى ادراكي المناخ الذي أتاحه لي ، وهذا يدعوني الى القول ان احلال الأديب المحل اللائق به في مجتمعه ، منوط بوعي المجتمع نفسه وتطوره ، كما أنه منوط بقيمة انتاج الأديب ، ومدى التصاقه بمجتمعه ، ومدى تأثيره به وتأثيره فيه ، والنهوض به نحو الأفضل ، ولن يتأتى ذلك الا برعاية المجتمع اديبه ، وتوجه الأديب نفسه لخدمة قضايا مجتمعه ، وتصديه لمشكلاته ، لا التي يمر بها في مرحلة آنية فحسب ،

أجد أن مسيرتي الأدبية ، ومنهجي الفكري ما برحا في أول الطريق . واني لأنني سائراً ، يحدوني ايمان بأن الأدب كالحياة يتطلب سعياً حثيثاً ، وجهداً جهيداً في سبيل السمو به نحو الأفضل . . . وما أرجوه وآمله أن يمتد بي العمر فأحقق ماأصبو اليه من طموح أدبي ، وتوق فكري يحققان رغبتني . ويلبيان تطاعي . . . واني لمدرّك هذه الحقيقة : واع لها في سهولة ويسر . من خالز ادراكي جوهر العمل الأدبي ومقوماته من حيث هو فكر وهداية ، ومن حيث هو وظيفة ورسالة ، ملتزماً بهما ، لا أحمدها ، ولا أتجاوزهما ، ايماناً مني بأن الكاتب « لا يكتب في المطلق أو المجرد ، ولكنه يكتب من واقع مجتمع محدد له مشاكله وظروفه ، ليساهم في تطويره . ويعمل من خلال كتابته على ازالة العوائق أمام هذا التطور » !

أما بعد أن أسرتموني بلقائكم ، وأمتعني إخوتي الشعراء الأدباء بأقوالهم - فقد واتني الفرصة لأميط اللثام عن منهجي في الأدب ، وأداء دوري كأديب ، واضطاعي بمسؤوليتي حيال مجتمعي كعضو فيه ، وضعتها نصب عيني ، لم أنزع عنها ، ولا كفت عن القيام بها ، معتبراً نفسي واحداً من مجتمعي ، مندمجاً فيه ، ناسياً فرديتي ، شاعراً بالالتزام نحوه ، متعاملاً مع وقائعه ، مراعيّاً رسالة الأدب « كي تصل إلى مداها من عقول الناس ونفوسهم واضحة سليمة مشرقة » وكنت التمس في كل ما كتبت نفعاً تنتفع به أمتي ، وراحةً ترتاح اليها نفسي ، يحدوني تفان مكين - واخلاص راسخ خصصت بهما أمتي ، والتزام صادق ، وطموح أكيد ، بنيت على مقوماتهما أدبي ، لا أحمدهما عواولت

بل التي يمتاز بها في مراحل مستقبلية كذلك ، لأن الأديب الحق عراف بله نبي - إن جاز القول - وهو بهذه الصفة أو هذه الأدلة - يمتد في إطار المسؤولية الملقاة على عاتقه - عاملاً هاماً من عوامل هداية المجتمع ، وعينياً يبرز من عناصر رقيه وازدهاره ، وهذه العملية الجدلية - بين المجتمع والأديب - هي ما أدرعها بعملية التمثل أعني تمثل الأديب طموحات مجتمعه ، وتمثل المجتمع تجارب الأديب وظروحاته من خلال فنه الأدبي ... وبقدر ما تكون هذه المبادلة في التمثل عميقة ، يكون التفاعل والانصهار عميقين ! ...

لقد اكتسبت احساسي بذاتي كأديب من حذب مجتمعي علي - وتكريمكم هذا أكبر دليل - ومن شعوري بتوفيره عالمي الداخلي ، وعلى ضوء ذلك فزت بكينوتتي فيه ، وعرفت نفسي على أنها أناي الكبرى معه ، ووحدته مع أناي ... ويعني ذلك في جدلية « هيغل » الحب المتبادل بيننا ، يعني مقولة وعي وحدتي معه ، ووعيه مع وحدتي ، فكانت بالقياس إلي - التربة التي أنبتت البذرة ، وكنت - بالقياس إليه - البذرة التي امتلأت بنسخ النمو والتفتح ... ومن هذا التواضع ، أو هذا التكامل بيني وبين مجتمعي تبرز « القيمة الاجتماعية » كمظهر جمالي لروحي وفكري معاً . . .

وفي يقيني أن قدر الانسان كامن في قيمة ، كما أن قدرها كامن فيه ، فكما يبدع الإنسان القيمة ليسمو بها ، كذلك تبده القيمة لتسمو به ، فهو في ابداعه يرمي الى تحقيق

وجوده في الحياة ، وهي في ابداعها تهب له المعنى الذي يجسده فعله . للاتصار على الحياة . . . ومن وحدة هذين المدلولين تتجلى عظمة الإنسان ، لا في اقدمه وشجاعته فحسب ، بل في اقدمه وشجاعته في تقويم فعل الآخرين من أجل انتصارهم عليها كذلك ! . . .

ولست مغالياً اذا قلت إنكم - في احتفالكم هذا - قد انطلقتم من تناغم هذه القيمة وفعاليتها ، وسيمسي هذا التناغم بداية تاريخ جديد لبلدكم الحبيب في تكريم أدبائه ورعايتهم والحدب عليهم ... بداية فهم الحقيقة التي توصلتم اليها لإسعاد أدبائكم . . . بداية يقظتكم بله ثورتكم الاجتماعية والثقافية التي قامت على وعيكم ونبلكم ... بداية فطنتكم الى قيمة الأدب ، وادراككم أثره

وتأثيره ، واحساسكم بفرح الرسالة التي يؤديها أدباؤكم ، واعترافكم لها بما يكفل نموها والرقى بها ! . . .

وعلى ضوء هذا الاحتفال الذي أقمتموه لي خلال يومين « ومن غير أن أدري إوجدت الدنيا التي كانت تبدو لي من قبل جامدة لا صدى لها في نفسي ، وقد ذابت في احساسي ، وبدت تختلج بالحياة في باطني » فكان هذين اليومين من عمر الزمن - بالقياس إلي - قد استقطبا الزمن كله ! . . .

لقد هاجني هذا التكريم من بلدي الحبيب ، وفي بلدي العالي ، فحقق قلبي بالحنان والحب ، وفاض بأحاسيس جمّة ، وتجاذبت مشاعر غامرة لا عهد لي بها في أيامي الغواير ، هزنتني هزاً

امتلت به حناياي اكبارة لكم وتقديراً لأخوتي
الأدباء الذين يصدق فيهم قول « أبي تمام » :

وقلت : أخ ! قالوا أخ من قرابة ؟

فقلت لهم : إن الشكول أقارب !

نسيبي في عزمي ورأبي ومذهبي

وإن باعدتنا في الأصول المناسب !

وبعد

إذا كان الشكر واجباً أخلاقياً ، يسي
ويناً يلتزم بأدائه !

وإذا كان الشكر انفعالاً صادقاً تنبض
به روح المتلقي فيزجيه معبراً فيه عن امتنانه !

وإذا كان الشكر تأثيراً متبادلاً بين أفئدة
اختلفت على الحب والوفاء ، واستمسكت بعروة
المودة والإخاء !

وإذا كان الشكر موقفاً حياتياً واعياً ،
يدل على التماسك الإنساني في أجلى مظاهره !

وإذا كان الشكر تكاملاً روحياً متناغماً

يوحد بين القلوب ، وينبئ عن تعاطفها !

وإذا كان الشكر تجديداً للإيمان بجمال

الحياة ، وقوة تزيد ثرائها ونعيمها وبهجتها ! ..

إذا كان الشكر كل هذه المرايا العاكسة

للشعور الحقيقي ، وهذه الرؤية الكاشفة

للإحساس الصادق وتلك الأبعاد التي تقود

إلى الحقيقة في سياق الربط عضوياً بين الذات

والآخر ، أعني بين الإنسان ومجتمعه ، وصدق

تعاملهما ، وجدلية توثيق الصلات بينهما !

إذا كان الشكر يجسد هذه القيم ، ويوحد

تلك المواقف ، أمسى لزاماً علي ، وقد انفعلت

بتكريمكم ، وتأثرت بآتلاف أرواحكم ،

واستلذذت حلاوة تجديدكم ايماني بجمال الحياة

التي أحيانا أديباً ومواطناً .. أن أبوح لمدينتي

الغالية بامتناني العميق ، وأولي اخوتي الأدباء

شكري الخالص ، وقد أفعمت النشوة العارمة

قلبي ، منشداً بيتاً قاله « حافظ ابراهيم » حين

كرمه دمشق ، يعبر عما تكنه حناياي من حب ،

وينفصح عما تعتلج به جوانحي من ود ، هاتفاً :

شكرت جميل صنعكم بدمعي

ودمع العين مقياس الشعور

التابغة الذبياني

سيرة غير ذاتية

الإهداء: إلى الأديب الكبير
سعد صائب

بطاقات:

- ١ -

غريب ومنفرد

صوته الظل

والريح

والماء

غريب

وهذي البراري التي علمته

التسكع

ما علمته البكاء !

- ٢ -

داخل في المنافي

الهوى مدية في يديه

الرؤى شهوة جارحة

يكتب الآن سفراً لها

يسأل البيد

صمت العراء

الهوارج

عن لحظة أشعلت قلبه

أينها

هل مضت

أم تراها ارتوت مثل باقي اللحيظات

من دمه

واستوت فوق عرش انتهاءاته نائحة؟!

- ٣ -

وحده ما يطل

على مطلق واضح المعجز

يمتد ظلاً من الريح للريح

ها يسقط الآن

بين « الفرات »

وسر الغضا

نخلةً طلعتها ناشز

للخلاص

وحده يدخل الآن

ما بين عينيه تسيحة

لا لقاء الزمان

وفي دمه شهوة للرصاص !

حنين:

نبدأ الآن

في الدهن كم من القول والدفء

والأغنيات

عن الليل والرمل والحلوة

العذبة البعد

في القلب شيء من البوح

في الروح مالا يطاق

من الوجد

والشعر

آه (عكاظ)

الا خيمة ناعم جلدتها

قبة من هوى الأمس

قافية من تماضر

ترنيمة من نديم الرسول

الا لحظة تقتل الوحدة

الآن

آه (عكاظ)

اتنهي الدرب ما بيننا

أم لنا عودة للهجير الذي

يثلج القلب

للحزن يمضي بنا نحوه

هاجساً ذلك الوجه يبقى

ويبقى لنا الدرب

نظره كلما لاح ضوء ندي التباشير

تبقى لنا زهوة من الهم

/ عكاظ / انتفض

تشتعل جبهة الذل

أوميء لهم يأتك العيث

أنهار دم

/ عكاظ / غداً موعد ثالث

بعده يبدأ السيف

والسيف نعم الخطيب بهذا الزمان

ونعم الحكم !

الدخول :

خطوة . . . خطوة ، ندخل الفاجعة

تلك أنثاي

ذاك الذي تحتوي قبضتاه الرياح ، غريمي

وهذا المعتم بالصمت ظلي

أنا سيد الوقت

أدري بأن الذي يضحك الآن

يبكي غداً

غير أنني أقول الحقيقة

ماهمني البعد

مأرهبنتي التقاويل

وجه التي يعرف القلب يختال رغم اشتعال

الوشاية

يكتظ بالشعر

والخمر

والهيل

يأتي . . . ونبدأ

ماذا ترى تكتب الروح ؟

(كانت هنا

تخبىء تحت النصف عالماً من الشهوات

وكان (التعمان) بعينه المجهدين

يقبع بين فخذيهما

مزهواً بعقمه

مأخوذاً إلى أبعد الحدود

باستدارة النهدين

وتعرجات الجسد الذي يشبه

قارة ظامنة !!

* * *

إنه الحلم

لا تطل يرفل الآن في دفء قلبي

ولا ظبية تسرق الروح

ماذا أقول

تحاماني الكل

أفردت

شردت

عذبت حباً

وخوفاً

وجوعاً

فماذا ترى يشغل / الحيرة / اليوم

ماحل بالصحب

آه / عكاظ /

المجالس من يشعل فيها الحياة

ومن يفتح الدرب للشعر

من يمسح الخوف عن وجه مية

آه . . . إلى أين يمضي بي الحزن

هل صادف القلب غير الدروب

التي نحو عينيك تمضي

وهل غير عينيك يشناق نبضي
إذن .. فاضحكي
هاجساً وجهك الحلو يبقى
وتبقين لي
شمعة القلب

حزني الذي أشتميه خلاصاً
وموتي الذي فيه أرثيك أرثيه
ذاك الذي كان صباحاً يقايض
نهديك بالخمير
والمال

والجنس
حتى إذا عسعس الليل
أخفى مخالفه ثم جاء

ليندب كذباً على فخذيك الوطن !

هامش :

تخاذلت عنها

وكان الكماة قبيل احتدام الأسنة
يبنون قبراً لها في الضلوع

تخاذلت ..

قلت لها : نلتقي

حين يخلد للنوم كل السكارى
ويأتي الذي تعرفين

يمر كما الحلم بين (المعادات) والدمع
بين الرجولة والشهوة المستبابة

ويستقدم الناس :

من يبدأ الآن طقس الرجوع إلى الموت
والموت بالأمس كان يقايض بالخمير

والحور

والجنة المشتهاة

تخاذلت ..

كنت ترى عريها فاضحاً

والمسافة بين انتظارك والحلم
كانت مدى
هل تخاف
وهل تقدم الآن
أم تغمض الكأس عينيك

أم

اعتراف :

حين أسلمت للرمل راحلتي والفضاء الأخير،
التفت

فأيقنت أنني ملاق دمي
بين عينيك والمدبح الوطني
اشتعلت

ولملمت قلبي
حمامات وجد

وأكملت درب الردى

كان صوت من الغيب يأتي
يعرش كالشوك في الدهن

يدعو الى الشعر
بيننا / عكاظ /

يلوح كفزاعة في الخيال

ويستمطر القلب جرح السؤال
الذي ما انتهى

هل أردت المحال،

وهل رغبتني في الدخول

إلى طقس عينيك جرم

اذن كيف لفوك بالعري

نادوا عليك بسوق الترانيم

والأغنيات الرخيصة :

« وجه كما الحلم

عينان بحرهما أسر كالخيال

ونهدان عاجهما طبع للأصابع

والبطن آه كبطن الغزال
وما تحت هذا وذاك
اشتعال !

فمن يا امرأة

يعلن الآن أننا تعبنا

وَأَزِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ رَاح

وَذَاكَ الَّذِي كَانَ يَحْتَجُّ بِالسِّيفِ

وَالشَّرْفِ الْعَرَبِيِّ الذَّبِيحِ

انتهى عند باب الخليفة « مساح جوخ »

وأغفى أليفاً

يهدده الحلم بالحلم

وَالوَعْدَ بِالوَعْدِ

وَالكَأْسَ بِالْمَلِكِ

وَالْمَلِكِ - يَدْرِي الْجَمِيعَ - غدا لعبة الكل

لا فرق بين الذي تصطفيه الجموع

وبين الذي تصطفيه السيوف !

فمن يعلن الآن أنا تعبنا

ومن يمنع الآن ما بين قلبي وعينيك

ما بين قلبي وعينيك

ما يشبه الموت

صحراء

نهر من النفط

دشداشة غالها طيب القلب

ذاك الذي يلهث العهر بين عباءاته

وَالكِتَابَ الْمُقَدَّسَ

أعيذك يا حلوتي من عقال اذا زار زمزم

مليون زورة

يبقى عقالا مدنس

هامش :

مازلت تكابر

تبحث في رمل الأيام

عن القافلة الأولى

عن وجه امرأة صارت عزتها

مبغى لجنود الروم

مازلت تكابر

تصرخ

تهذي

تعتز جهاراً بالشامخ ما بين ال

تدعوه الفاتح

سيف الغزوات

نصيرك في ساح الشرف المثلوم

مازلت تكابر

تصرخ

تهذي

أنت العارف

منذ البدء

بأنك مهزوم . . مهزوم . . مهزوم !

الخبيرة :

عبثاً تبحث في الغربة عن سر الوقت

ستظل تطرز وجه الليل بخوف

مكتوب في لوح الصمت

ستغامر ، لكن لن تلقى في كل الصحراء

جواباً لسؤالك عن وطن نثرته

الرياح

وبعثره صلف الأبناء

لا تصرخ

لا . .

لن يجدي الصوت

ولن يرجع واديك الصوت

ما كنت إلهاً

ما كنت نبياً

ما كنت سوى وجع مندور

الكتب
الصور
حديث الصحب
واستثنيت - طويل العمر -
أراه الآن يرلود دربي
يرقض بين دمي والماء
ماجدوى أن أرفض
مادام هو الأقوى
ماجدوى أن أكتب
أو أتر شعر حببية قلبي
وأفليه بضوء الفصحى
عبثاً أفعل مادمت أراه
وما دام النهر يغير حسب مشيئته مجراه!!

للرمل الأخرس
والبيد القاتلة الصماء
فادخل قفرك .. واقراً
مرثية للفرح الراحل
عل الرسم الغافي يطلع
فأرسه من رحم أثار فيه
المهجورة
عل الدمع الساقط من عينيك الذابلتين
يضيء
ليولد نجم في شرفة البيت
في / الحيرة /

اعتراف آخر:

آه

لقلنت الدفء